

التناص الداخلي والخارجي في مقامات بديع الزمان الهمذاني

واضحة هادي مدعث الزعبي

E-mail: alrtag1515@gmail.com

المخلص:

احتلت المقامات مكانة مرموقة في الأدب العربي القديم منذ ظهورها، وكان رائدها الأول هو بديع الزمان الهمذاني (ت ٣٩٨هـ)، وهو صاحب المقامات التي سنتناولها في هذا البحث، وسنبحر في أعماقها، لاستخلاص أشكال التناص الداخلي والتناص الخارجي. كان المنهج الوصفي التحليلي هو المنهج المتبع في هذا البحث، فقد اعتمدت على استقصاء المعلومات من مصادرهما، واعتمدت على طبعتين من طبعات مقامات الهمذاني، كانت إحداهما بشرح وتحقيق: محمد عبده، والأخرى بتحقيق: محيي الدين عبد الحميد، وكانت هذه الثانية هي المعتمدة في التوثيق بالهوامش. وخرجت الدراسة بعدة نتائج أهمها بأنه قد ظهر التناص في مواطن كثيرة من مقامات الهمذاني، سواء أكان تناصاً داخلياً، وهو ما يسمى بالترار، أو التناص الخارجي مع القرآن والتراث على امتداد المقامات، وهذا التناص دليلٌ على سعة اطلاع الهمذاني، وثقافته القرآنية، وغرفه من التراث، وهذا التناص لا يقدر في جمالية المقامات، وارتفاع مستواها لفظاً ومعنى، فقد ساهم التناص في خلق نص جديد من تعالقه مع النصوص الأخرى، فخرجت الألفاظ والصور معبرةً عن الفكرة التي أراد الهمذاني إيصالها.

الكلمات المفتاحية: التناص الداخلي، التناص الخارجي، مقامات ، الهمذاني.

المقدمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أوتي جوامع الكلم، عليه وعلى اله وأصحابه أفضل الصلاة وأتم التسليم وبعد:

احتلت المقامات مكانة مرموقة في الأدب العربي القديم منذ ظهورها، وكان رائدها الأول هو بديع الزمان الهمذاني (ت ٣٩٨هـ)، وهو صاحب المقامات التي سنتناولها في هذا البحث، وسنجر في أعماقها، لاستخلاص أشكال التناس الداخلي والتناس الخارجي. تأتي أهمية التناس في انفتاح نص المقامات من خلال تعدد مرجعيته، وتشابك علاقات الحضور والغياب فيه، فاستحضار النص القرآني، أو النص التراثي سواء أكان نصًا شعريًا أم نثريًا، يفرض على المتلقي أن يستدعي سياقًا حضاريًا من عصر الهمذاني، لذلك يوظف الهمذاني في مقاماته حشدًا من النصوص القرآنية والدينية والشعرية، فيفتح النص بذلك على فضاءات واسعة ومرجعيات تراثية.

تهدف هذه الورقة البحثية إلى دراسة تطبيقية للتناس في مقامات بديع الزمان الهمذاني، والوقوف على التناس الموجود في مقامات الهمذاني نفسها من نثرٍ وشعرٍ وهو ما أسميناه التناس الداخلي، وكذلك التناس بين مقامات الهمذاني والقرآن الكريم والحديث الشريف والتراث، وهو التناس الخارجي، فالهمذاني يستدعي تقنية التناس لكي يفتح النص على عوالم وأفاق تتجاوز تجربته الذاتية وتحديدها المكاني والزمني.

بدأت البحث بمقدمة، وبعد ذلك قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث: المبحث الأول منها يدرس التناس الداخلي في مقامات الهمذاني، أما المبحث الثاني فيدرس التناس القرآني في مقامات الهمذاني، والمبحث الثالث كان عن التناس مع التراث، وقدمت قبل ذلك مهادًا عن صاحب المقامات: بديع الزمان الهمذاني، واستهللاً يجلي مفهوم التناس لغةً واصطلاحاً، وختمت بالخاتمة وما توصلت إليه من نتائج، ثم ثبت المصادر والمراجع.

أسباب الاختيار:

وقع اختياري على هذا الموضوع: التناس الداخلي والخارجي في مقامات الهمذاني؛ لجدة الموضوع، وشموله أنواع التناس، وأن التناس في مقامات الهمذاني خاصةً ظل مهملاً أو شبه مهملاً، خاصةً في التناس الداخلي، فلم أقف على كتابٍ أو دراسةٍ تناولت هذا الموضوع وأحاطت بالتناس الداخلي والخارجي لمقامات الهمذاني، فأغلب الدراسات اشتملت على جانبٍ من جوانب التناس، وأهملت الجوانب الأخرى.

الدراسات السابقة:

ثمة دراسات تناولت جانبًا من جوانب التناس عند الهمذاني في مقاماته، ولكنها لم تكن شاملة، ومنها:

- المقداد، محمود (٢٠١٣م)، مستويات التناس بين المقامة الأسدية لبديع الزمان الهمذاني وصفة الأسد لأبي زبيد

الطائي، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٩، العدد: ٢+١.

اكتفت هذه الدراسة بتوضيح جوانب التناس بين المقامة الأسدية للهمذاني وصفة الأسد لأبي زبيد الطائي، ولم يتطرق إلى مقامات الهمذاني الأخرى، ولا إلى أنواع تناس هذه المقامة مع القرآن الكريم أو مع التراث.

- الإدريسي، مولاي يوسف (٢٠١٥م)، التناس النقدي في مقامات بديع الزمان الهمذاني، مجلة جذور، ع: ٣٩، يناير-

النادي الأدبي الثقافي بجدة- المملكة العربية السعودية.

تناول الباحث الآراء النقدية للهمذاني، والتي ضمّنها مقاماته، وتناص بها مع عدد كبير من نقاد عصره، سواء في رأيه بالشعراء، أو الكتاب، أو في أجود أبيات الشعر، وقد اقتصر البحث على التناص النقدي، دون إشارة إلى أنواع أخرى من التناص.

- بو جملين، الزهرة (٢٠١٦-٢٠١٧م)، التناص الديني في مقامات بديع الزمان الهمذاني، رسالة ماجستير في الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر - بسكرة - الجمهورية الجزائرية.

اعتمدت الباحثة على بيان التناص الديني في مقامات الهمذاني، وشمل التناص القرآني، والتناص مع الحديث الشريف، والتناص مع القصص القرآني، واكتفت بهذا التناص دون إشارة إلى أي نوع آخر من التناص، وهذا البحث لم أستفد منه كثيراً، فقد كانت الرسالة مبتورة، ولم أستطع الاطلاع عليها كاملةً. أما في هذه الدراسة فقد تناولت التناص في مقامات الهمذاني من جميع جوانبه، وحاولت استقصاء التناص الداخلي الذي لم أقف على دراسة سابقة تناولته بالبحث والدراسة، وكذلك التناص الخارجي لم تتناول الدراسات السابقة جميع جوانب التناص القرآني أو التراثي، بل وقفت على جانب من جوانبه، وأهملت باقي مستويات وأشكال التناص الأخرى.

صعوبات البحث:

من الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث: قلة الدراسات في التناص في مقامات الهمذاني، وندرة وجود أبحاث عن التناص الداخلي في مقامات الهمذاني، والصعوبات تمثلت أيضاً في اتساع الموضوع وتشعبه، وكذلك أهمية امتلاك زمام المعرفة، وصعوبة الإلمام بكافة المصادر التي تناص معها الهمذاني، فكان لزاماً الغوص في كتب التراث النقدية، والاستناد إلى المرجعية الثقافية والدينية والتاريخية للباحثة، إلى جانب المصادر والمراجع والدراسات المعنية بالموضوع، حتى تتمكن من سبر أغوار المقامات، والوقوف على مواطن تناص الهمذاني مع نفسه أولاً، ثم مع غيره.

منهج البحث:

كان المنهج الوصفي التحليلي هو المنهج المتبع في هذا البحث، فقد اعتمدت على استقصاء المعلومات من مصادرها، واعتمدت على طبعتين من طبعات مقامات الهمذاني، كانت إحداهما بشرح وتحقيق: محمد عبده، والأخرى بتحقيق: محيي الدين عبد الحميد، وكانت هذه الثانية هي المعتمدة في التوثيق بالهوامش.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث:

مقدمة: وتشتمل على بيان للموضوع وأهميته، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وصعوبات البحث ومنهجه، وخطة البحث. التمهيد: ويشتمل على تعريف بصاحب المقامات، وتجليّة لمفهوم التناص لغةً واصطلاحاً، وبيان لمفهوم التناص وأشكاله في النقد العربي القديم.

المبحث الأول: التناص الداخلي في مقامات الهمذاني.

المبحث الثاني: التناص القرآني.

المبحث الثالث: التناص مع التراث.

الخاتمة: ذكرت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها.

قائمة المصادر والمراجع.

وهنا لا أنسى أن أتقدم بالشكر للأستاذ الدكتور الفاضل/ صلاح جرار؛ على تكليفه لي بهذا البحث لما أثرى لدي من معرفة، وما أفصح لدي من مبهم، ما كنت أدركه وأتعرّف إليه لولا سعبي وراء حقيقة كنت أجهلها، فتبينتها بفضل الله تعالى ثم إرشادات أستاذي الكريم.

توطئة:

بديع الزمان الهمذاني:

هو أحمد بن الحسين، وكنيته أبو الفضل، ولقبه بديع الزمان، ولد في همذان لأسرة عربية (٣٥٨هـ)، واستقر في خراسان، ومات في مدينة هراة (ت ٣٩٨هـ)، أما لقب بديع الزمان فلا ندري إن كان من صنعه أم من صنع الثعالبي صاحب يتيمة الدهر الذي قال: "هو بديع الزمان، ومعجزة همذان"⁽¹⁾، عاش في زمن أربعة ملوك في الدول البويهية، والغزنوية، والزيارية، والصفارية، تلك الدول التي كانت تتنازع الملك والسلطان فيما بينها، لكنها كانت في الوقت نفسه تتنازع مجد العلم والأدب، فراجت سوق الأدب في ذلك الوقت وعلا نجم علماء كثيرين، منهم البيروني والثعالبي.

كان معلم البديع الأول أبو الحسن أحمد بن فارس اللغوي (ت ٣٩٥هـ)، وقد غادر البديع بلده في الثانية عشرة من عمره، ولما بلغ الري اتصل بالصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ)، ولزم دار كتبه فتأثر بتلك المدرسة وبأساليبها، ولأنه صاحب ذاكرة قوية وحافظة نادرة فقد استفاد كثيرا مما قرأ، بعد ذلك غادر صاحب، وقصد جرجان، وهناك خالط علماءها من الإسماعيلية فعاش بينهم، واقتبس كثيرا من علومهم، وفلسفتهم الباطنية ومن عندهم انصرف إلى نيسابور فكانت له معركة أدبية فاصلة مع أبي بكر الخوارزمي، وفي نيسابور أيضا كتب مقاماته المشهورة⁽²⁾.

كتب الهمذاني مقاماته على شكل مزيج من الشعر والنثر مستخدما كافة أشكال البلاغة الكتابية من سجع وبديع، وتتناول أكثرها حال الحياة في ذلك الزمان في بغداد وما حولها، بينما بعض مقاماته يصف الحياة في أزمنة سبقت وقت بديع الزمان، وتناولت مقاماته مواضيع مختلفة، إلا أن جوهرها كان موضوع الكدية، وإلى جانبه مواضيع أخرى من فقه وتاريخ ونحو ووعظ ووصف للبلاد والطعام والأشخاص، وتهدف المقامات إلى إعطاء دروس في الدنيا والدين بقالب فكاهي، سهل الاستيعاب ولا يسبب الملل للقارئ، وهذا ربما أحد أسباب خلود تلك المقامات، حتى أن القارئ في يومنا هذا يمكن أن يستمتع بها ويستفيد منها. كتب الهمذاني مقاماته بأسلوب الراوي، الذي يروي قصة للجمهور، وكان الراوي في مقاماته شخصية خيالية اسمها عيسى بن هشام، ويقص هو بدوره قصصا عن بطل المقامات أبو الفتح الإسكندري، الذي يصول ويجول ويقوم بكل ما هو غير عادي من أعمال الحيلة لكسب المال، وتتضمن المقامات مناظرات في الدين ومواعظ وأحاجي شعرية، كما تقدم دروسا توعوية للناس لتحميمهم من حيل اللصوص والشحاذين.

التناص لغةً واصطلاحاً:

التناص لغةً: " مشتق من الفعل الثلاثي المجرد (نَصَنَ)، بمعنى رفع الشيء، يقال هذه الفلاة تناص أرض كذا وتواصيها أي يتصل بها"⁽³⁾، وتفيد الانقباض والازدحام وتناص القوم: ازدحموا"⁽⁴⁾.

(1) ينظر: الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (ت ٤٢٩هـ)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ط ١، ج ٥، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ٢٩٣/٤.

(2) المصدر نفسه، ٢٩٥/٤.

(3) ابن منظور (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، مادة: نصص.

(4) الزبيدي، محمد بن عبد الرزاق المرتضى (ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، م ٤٠، ط ٢، مادة: نصص، تحقيق: عبد الكريم غرابوي، مطبعة الحكومة، الكويت، ١٩٧٩م، ٤٤٠/١.

وهذا المعنى الأخير يقترب من مفهوم التناص بصيغته الحديثة، فتداخل النصوص قريب جداً من ازدحامها في نص ما، ونلاحظ أن "تناصاً" على وزن تفاعل، وهو يفيد المفاعلة أو المشاركة بين الطرفين وأطراف أخرى تقابله، يتقاطع معها ويتميز عنها في بعض الأحيان.

التناص اصطلاحاً: "هو تشكيل نص جديد من نصوص سابقة، وختلاصة لنصوص تماهت فيما بينها، فلم يبق منها إلا الأثر"^(١)، ولا يمكن إلا للقارئ الحاذق أن يكتشف الأصل، ويمكن أن نطلق عليه القارئ الحارث الهمام، الذي يحرث النصوص؛ ليفهمها ويغوص في أعماقها، وتكون بذلك تتناص مع راوي الحريري في مقاماته.

التناص هو الدخول في علاقة مع نصوص بطرق مختلفة "يتفاعل بواسطتها النص مع الماضي والحاضر والمستقبل وتفاعله مع القراء والنصوص الأخرى"^(٢)، التناص أو تداخل النصوص من المصطلحات المترجمة، ورائدته هي جوليا كرستيفا في أواخر الستينيات من القرن الماضي، وضعت تأثيراً بميخائيل باختين.

والتناص: "يعني أن يتضمن نص أدبي ما نصوصاً أو أفكاراً أخرى سابقة له، عن طريق الاقتباس أو التضمين أو التلميح أو الإشارة وغيرها"^(٣)، وفي هذا دلالة واضحة على أن محتوى النص ليس ملك مبدعه، وإنما هو امتصاص لنصوص سابقة يكون فيها صاحب النص غائب، فيخلق التفاعل النصي بإقامة علاقة مع نصوص سابقة، والتناص هو من المصطلحات الحديثة التي دخلت على الأدب العربي، إلا أن له جذوراً في التراث العربي.

التناص في النقد العربي القديم

شكل مفهوم التناص محط اهتمام العالم العربي، مما خلق إشكالات عديدة ظهرت مع بداية الثمانينيات، فراح بعضهم يبحث في النقد القديم في مفاهيم تتصل بالتناص، لتضع جواباً لعدة أسئلة أفرزها النقد العربي الحديث، فدمج الحديث عنه في السرقات والمعارضة والمناقضة والتضمين والاقتباس والتداول.

إن كلمة التناص قد لا نجد لها وجوداً في الفكر النقدي القديم، لكنها انصهاراً لعدة مباحث نقدية قديمة، فالقاعدة التي يركز عليها التناص في المفهوم الغربي، لها أنماط تأسيسية في الفكر النقدي العربي القديم، وتؤدي إلى الاقتراب والتقاطع مع هذا المصطلح الجديد في أبواب نقدية عربية قديمة.

إن علاقة التداخل بين النصوص كانت موجودة منذ العصر الجاهلي، فنحن نقرأ ملاحظات الشعراء والنقاد لتلك العلاقة الموجودة بين النصوص في تلك الفترة، فظاهرة التناص تصادفنا في كلام القدامى والاعتراف بالتداخل النصي، كما يقول زهير بن أبي سلمى^(٤):

ما أَرانا نَقُولُ إلا رَجِيْعاً أو مُعاداً مِنْ قَوْلِنا مَكروراً

وعنتره بن شداد حين قال^(٥):

هل غادرَ الشعراءُ من متردِّمٍ أم هل عرفَت الدارَ بعدَ توهُمٍ

(١) عزام، محمد (١٩٩٦م)، النقد والدلالة نحو تحليل سمياتي للأدب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ١٤٨.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) الزعبي، أحمد (٢٠٠٠م)، التناص نظرياً وتطبيقياً، ط٢، مؤسسة عمون، عمان: الأردن، ١١.

(٤) ابن أبي سلمى، زهير (ت ٦٠٩م)، ديوان زهير بن أبي سلمى، ط١، (شرح وتقديم: علي حسن فاعور)، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٩٨٨م، ١٥٤.

(٥) عنتره، ابن شداد العبسي (ت ٦٠٨م)، شرح ديوان عنتره، تحقيق: أمين سعيد، دار الكتب المصرية، (د.ت)، ١٨٢.

كما جاء عند أبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) في كتابه (الصناعتين) في حسن الأخذ، أو وقع الحافر على الحافر، ويرى "أنه ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم، والصب على قوالب من سبقهم، ولكن عليهم إذا أخذوها أن يكسوها ألفاظاً من عندهم، ويبرزوها في معارض من تأليفهم، ولولا أن القائل يؤدي ما سمع، لما كان في طاقته أن يقول، وإنما ينطق الطفل بعد استماعه من البالغين، وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: "لو أن الكلام لا يعاد لنفد" (1).

ويظهر مفهوم التناص عند ابن رشيق (ت ٤٦٣هـ) في كتابه (العمدة) من خلال باب السرقات (2)، وظهر أيضاً عند عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) في كتابه (أسرار البلاغة)، "الذي استدل على وجود الاتفاق في الغرض على العموم، والاتفاق في وجه الدلالة، لينفي وجود سرقة على الإطلاق، إلا في حالة تكون فيها نسخاً، وعدّه في المعنى التخيلي وهو ما اشترك وتعارف عليه الناس، فهو يجري باشتراك الناس في المعاني" (3).

وفي كتاب تلخيص المفتاح للخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) في فكرة الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح من خلال باب السرقات (4)، وابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) في مقدمته، من فصله الذي سماه (في صناعة الشعر وتعلمه) في إطار الحفظ الجيد (5).

كان النقاد القدامى يركزون على السرقات الشعرية، إلا أن بعضهم أثار قضية سرقة الناثرين من الشعراء، كابن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، وكان يبيح هذه السرقات للناثرين من أي مصدر كان، ولم يسمها سرقة، ولم يلصق هو أو غيره من النقاد أي تهمة أخلاقية أو إدانة بهؤلاء الناثرين، وقد أطلقوا على هذه الظاهرة اسماً لطيفاً هو (حل الشعر في النثر) أو (حل العقد)، وكان ابن الأثير يجعل حل الشعر ركناً أساسياً لا بد منه لكتاب الترتيل، وكان يدعو هؤلاء الكتاب إلى: "حفظ عدّة من دواوين فحول الشعراء، ممن غلب على شعره الإجابة في المعاني والألفاظ" (6).

(1) العسكري، أبو هلال (ت ٣٩٥هـ)، كتاب الصناعتين، تحقيق: مفيد قميحة، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م، ٢٤٩.

(2) ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني (ت ٤٦٣هـ)، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، ط٢، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١م.

(3) ينظر: الجرجاني، عبد القاهر (ت ٤٧١هـ)، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه محمود شاكر، الناشر دار المندي بجدة، ص ٣٣٨.

(4) القزويني، الخطيب جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر (ت ٧٣٩هـ)، تلخيص المفتاح في المعاني والبيان، ط١، مكتبة البشري، كراتشي، ٢٠١٠م.

(5) ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ)، مقدمة ابن خلدون، ط٢، ط١، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب للنشر، دمشق، ٢٠٠٤م، ج ٢/ الباب السادس: الفصل السابع والأربعون.

(6) ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد (ت ٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج ٢، المكتبة العصرية، صيدا: بيروت، ١٩٩٥م، ١٢٦/١.

المبحث الأول:

التناسخ الداخلي في مقامات الهمداني

ننطلق في مبحثنا هذا من المفهوم العام للتناسخ، بأنه المشاركة والتداخل بين النصوص، كما يمكن أن نسميه تكرار بعض الشخصيات والمفردات والمعاني في مقامات الهمداني نفسها، أي أن الهمداني يتناسخ مع نفسه، سواءً في النثر أم الشعر.

وضعت جوليا كريستيفا مستويات علاقة النص وسياقاته على ثلاثة أنماط وهي كالاتي: (1)

النفي الكلي:

ويقوم المبدع في هذا المستوى بنفي النصوص التي يتناسخها نفيًا كليًا دلاليًا، ويكون فيه معنى النص قراءة نوعية خاصة، تقوم على المحاوراة لهذه النصوص المتميزة، وهنا لا بد من ذكاء القارئ الذي هو المبدع الحقيقي الذي يفك رموز النصوص، ويعيدها إلى منابعها الأصلية.

النفي المتوازي:

وهو ما يعرف في الدراسات البلاغية العربية القديمة بالتضمين أو الاقتباس، فيظل المعنى المنطقي في المقطع هو نفسه أي أن المعنى المنطقي للبنية النصية الموظفة هو نفسه البنية النصية الغائبة.

النفي الجزئي:

وفيه يأخذ الكاتب بنية جزئية من النص الأصلي يوظفها داخل خطابيه، مع بعض النفي لأجزاء منه.

أما محمد بنيس فيرى أن التناسخ يتم وفق ثلاثة مستويات، وهي:

"المستوى الاجتراري: وهو تكرار النص الغائب دون تغيير، المستوى الامتصاصي: وهو استيعاب النص الغائب، ثم إعادة صياغته، المستوى الحوارية: هو أرقى مستويات التعامل مع النص الغائب، فهو يعيد كتابته على نحو جديد، وبكفاءة فنية عالية" (2)، وهذا المستوى الأخير يقابل النفي الكلي عند كريستيفا.

يعد الاقتباس والتضمين من أشكال التناسخ، والتضمين هو: " قصدك إلى البيت من الشعر أو القسم فتأتي به في آخر شعرك أو في وسطه كالمتمثل" (3)، وابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) يرى التضمين الحسن هو الاقتباس، ويعرفه: " بأن يضمّن الشاعر شعره، والنّثر نثره، كلاماً آخر لغيره، قصدًا للاستعانة على تأكيد المعنى المقصود" (4).

الاقتباس هو أن يضمّن الشاعر أو النّثر كتاباته شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف، أو هو تكرار قول شخص آخر، خاصة إن كان مشهوراً، أو بالعزو لمصدره الأصلي، وثمة من يرى هناك فرقاً بين التضمين والاقتباس، فيجعل الاقتباس من القرآن والحديث الشريف، والتضمين يكون للنثر أو الشعر، وهناك من يجعلهما شيئاً واحداً، والاقتباس أنواع كثيرة، منها:

الاقتباس المباشر:

(1) كريستيفا، جوليا (١٩٩٧م)، علم النص، ط٢، ترجمة: فريد الزاهي، دار توفال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ٧٨.

(2) بنيس، محمد (١٩٧٩م) ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، ط١، دار العودة، بيروت، ٢٥٣.

(3) ابن رشيقي، أبو علي الحسن القيرواني (ت ٤٦٣ هـ)، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، ط٢، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١م، ٣٧٠/٢.

(4) ابن الأثير، المثل السائر، ٣٤٤/٢.

وهو أن ينقل الباحث حرفياً من مادة كتاب معين يقل عن ستة أسطر ويضعه بين شولتين " صغيرتين مزدوجتين ويضع رقماً بعد أعلى الشولتين، واضعاً بالوقت ذاته الرقم نفسه في أسفل الصفحة، وتدرج فيه معلومات تفصيلية عن المصدر كاملة، مع وضع نقطة في نهاية رقم الصفحة.

الاقتباس الحرفي:

وهو اقتباس مباشر، لكنه يزيد عن ستة أسطر، فإن الباحث يفصل الاقتباس من المتن وذلك بترك مسافة حيث يكون الاقتباس وسط الصفحة ولا يضع شولتين مزدوجتين، علي أن تضغط المسافة بين أسطر الاقتباس بما يعادل نصف المسافة المستعملة في متن البحث، ثم يضع الباحث رقماً في نهاية الاقتباس، ويوضع الرقم نفسه في أسفل الصفحة مع ذكر اسم المصدر كاملاً إن كان يسجل في الهامش للمرة الأولى.

الاقتباس غير المباشر:

وهذا النوع من الاقتباس غالباً ما يستعمل عندما يلجأ الباحث الي فهم فحوى الأفكار أو معناها من المصدر الذي يطلع عليه، ثم يعود ويكتب بلغته الأفكار ذاتها، فإنه لا يضع الشولتين المزدوجتين، وفي الوقت نفسه يضع رقماً في متن البحث، هو نفسه الرقم في هامش البحث، ويمكن للباحث أن يأخذ من أكثر من مصدر الفكرة الواحدة التي يستخدمها، وبذلك يدون المصادر في الهامش وبالرقم نفسه حيث وردت.

يعتمد الاقتباس غير المباشر على مبدأ العزو والاختيار، حيث يكون السرد قائماً على عبارات، مثل: قال، ذكر، أضاف، ويتبعها مباشرة القول الذي يكون قريباً جداً من العبارات الأصلية، ويحقق الاقتباس غير المباشر بعض المزايا مثل مساعدة القارئ على مواصلة القراءة دون أن يصطدم بعلامات التنصيص التي قد تقطع النص وتحد من انسيابيته.

الاقتباس الجزئي: يعني اقتباس جزء محدد من المصدر وفائدته أنه يلفت نظر القارئ إلى شيء يكون له معني مهم.

إعادة الصياغة: إعادة الصياغة تعني الاختصار والإيجاز بواسطة استعمال عبارات خاصة بالمحرر نفسه وليست موجودة في المصدر.

التنصص الداخلي في مقامات الهمذاني نلحظه بتكرار الراوي وهو: عيسى بن هشام في كل مقاماته، والبطل: أبو الفتح الإسكندري، وصفاته من شجاعة وحيلة وذكاء وفصاحة وبلاغة وبيان، كما أن موضوع المقامات يتكرر وهو الكدية، ويتكرر ذكر الفصاحة والبلاغة في كثير من المقامات دلالةً على اتصاف الهمذاني بها، وتظهر مستويات التنصص والتكرار التي اعتمد عليها الهمذاني، أي بتحديد هذه النصوص ضمن سياقات تخدم النص، أي أن التنصص لم يكن اعتباطياً، بل كان تناصاً سببياً، وهذا لا ينفي دور المتلقي في عملية التأويل.

إن ظاهرة التكرار من الظواهر اللغوية التي اعتنى بها الكتاب والشعراء منذ القدم، وكانت محل اهتمام كثير من النقاد واللغويين، لما لها من أهمية في تحقيق الاتساق النصي، ومن هؤلاء النقاد ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) في سر الفصاحة: "فهو يرى التكرار ضرورةً لاكتمال المعنى، وانتقد من يغفل التكرار في نظمه أو نثره"^(١)، كما عرفه ابن الأثير (ت ٦٣٦ هـ): "بأنه دلالة

(١) ينظر: الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن سنان الحلبي (ت ٤٦٦ هـ)، سر الفصاحة، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م، ١٠٦.

على المعنى مردداً⁽¹⁾، وهذا ما نراه جلياً في مقامات الهمذاني، فقد اعتمد على التكرار كثيراً، وعُدَّ نوعاً من أنواع التناسخ الداخلي في مقامات الهمذاني.

والتكرار قد يكون للكلمة نفسها، أو الترادف معها، أو تكرار العبارات والجمل، أو تكرار الشخصيات والأماكن، أما التعبيرات الخاصة فنجدها في أكثر المقامات، وخصوصاً: القردية والأرمنية والخمرية وغيرها، وهناك مقامات على غرار واحد، حتى يخيل للقارئ أنهما توأمان، مثل المقامة المجاعية والساسانية، والمقامتان الفزارية والملوكية.

يسلك الهمذاني في مقامته الأولى القريضية سلوكه في بقية مقاماته، ويلتزم فيها كل الالتزام بالقواعد التي استنتجها في هذا الفن الفريد، فهناك الراوي (عيسى بن هشام) والقوم من حوله وهناك المكان المقصود، بعيداً عن الوطن، وهناك اللقاء مع الشخص الغريب، الذي يتعرف عليه في كل مرة وهو (أبو الفتح الإسكندري)، الذي يثير فضول الجماعة، ويقود حبل الحكاية إلى نهايتها المألوفة، وهناك كما في بقية المقامات الجملة القصيرة الأنيقة والمسجوعة، وهناك التناسخ الذي يلجأ إليه في مقاماته مع القرآن الكريم والحديث الشريف والتراث.

يسعى الهمذاني في أولى مقاماته من خلال لجوئه إلى مجموع حيل، وحسب ظاهر الأمور إلى ما يسعى إليه أيضاً في بقية المقامات من تعليم وإمتاع القارئ وتسليته، وإظهار بلاغة البديع ومقدرته اللغوية، ولكن سرعان ما يبدو للمتيقظ أن الكاتب يريد بالإضافة إلى ذلك أن يثير اهتمام القارئ بمسألة كانت تشغل أوساط أهل الأدب، وأنه يعمل على إقناعه بوجهة نظر معينة، وأن مقاماته لها هدفٌ أسمى من مجرد تعليم أو تسلية.

نرى التناسخ الداخلي في مقامات الهمذاني واضحاً، ففي المقامة الأزادية تناسخ مع المقامة البغدادية في المكان والزمان: (كنت ببغداد وقت الأزد، وكنت ببغداد واشتهيت الأزد)⁽²⁾، تناسخ وتكرار الأماكن والأحداث وذكر نوع التمر، وذكر الشعر ممزوجةً بالنثر، وموضوع القديم والحديث، وتعرف الراوي على البطل أبي الفتح الإسكندري، وصف الطعام واشتهاء الأزد والمشى في الأسواق.

في المقامة الجرجانية يذكر: (جبت الأفاق)⁽³⁾، فهي تتكرر كثيراً في مقاماته وردت نثرًا وشعرًا، كما في المقامة الأذربيجانية، يقول⁽⁴⁾:

أنا جواله البلا د وجوابه الأفق

وفي المقامة الحمدانية يذكر أنه (من الثغور الأموية والبلاد الإسكندرية)⁽⁵⁾، فراها متكررة أيضاً في أكثر من مقامة مثل: المقامة الحلوانية والجاحظية، ولكن مع قلب العبارة: (من أهل الإسكندرية من الثغور الأموية)⁽⁶⁾، وفي هذا تأكيد على أنها إسكندرية الأندلس أو العراق، وليست مصر، كما تكرر تشبيهه شجرات آلاء كنهن عذارى متبرجات، قد نشرت غدائهن كما في المقامة الغيلانية، وهو تناسخ مع المقامة الأسيديّة⁽⁷⁾

(1) ابن الأثير، المثل السائر، ٣٠/٣.

(2) الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسن بديع الزمان (ت ٣٩٨هـ)، مقامات بديع الزمان الهمذاني، شرح وتحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الأسرة، هيئة الكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م، ٤٩-١٥.

(3) المصدر نفسه، ٤١.

(4) المصدر نفسه، ٣٩-٤٠.

(5) المصدر نفسه، ١٤٣.

(6) المصدر نفسه، ١٠٥-١٦٢.

(7) المصدر نفسه، ٣٢.

تتكرر عبارة: (رفع عقيرته)⁽¹⁾ كما في المقامة الفزارية، والعقيرة: "الصوت، وقيل: صوت الإنسان المعبر عن الألم في الغناء أو من الوجد، أو الشاعر يرفع صوته إذا أراد أن ينشد شعراً"⁽²⁾، ويتكرر تعرفه على أبي الفتح، وينعته بشيخنا، ويقول: "إذا هو والله شيخنا أبو الفتح الإسكندري"⁽³⁾، وأيضاً تكراره وصف الكهل بأنه رجل ذو طمرين، أي يلبس ثوبين أو هو في طمرين، كما في المقامة الحمدانية وفي المقامة البخارية⁽⁴⁾.

تتكرر عبارة: (هلمَّ جرًّا)⁽⁵⁾ في المقامة الأرمنية والأسدية، ومعناها: "سيروا على هينتكم، أي: اثبتوا في سيركم، ولا تجهودوا أنفسكم، أخذ من الجر في السوق، أي: تترك الإبل والغنم ترعى في السير"⁽⁶⁾، كما شبه العينين بالتوأمين في المقامة المكفوفية والمقامة القزوينية وفي المقامة البخارية⁽⁷⁾، ودائماً يتكرر أحلنتي... ويذكر اسم المكان، مثل أحلنتي أذربيجان، أحلنتي البصرة، أحلنتي الكرخ، أحلنتي بغداد⁽⁸⁾.

تكرار جملة: (متى ما ترقَّ العين فيه تسهَّل)⁽⁹⁾ تكررت في وصف الأصحاب، والرفقة التي صحبتته في بعض أسفاره كما في المقامة الأهوازية والمقامة البصرية، وفي إحدى المرات كانت في وصف الفرس وليس في وصف الأصحاب، وذلك في المقامة الحمدانية، وفي المقامة الأسدية جاءت العبارة في وصف الفارس⁽¹⁰⁾.

كما تكرر ذكر (يا لكع)⁽¹¹⁾، كما في المقامة الحلوانية، وفي المقامة الأسدية يقول: (اسكت يا لكع)⁽¹²⁾، وهو يتناص مع الحديث الشريف عندما قال صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع"⁽¹³⁾ ولكع هو: اللئيم ابن اللئيم، ولكع عند العرب هو العبد، ثم استعمل في الحمق والذم⁽¹⁴⁾، ومعنى الحديث: أن الذين سيتولون أمور المسلمين ويتصرفون في أموالهم في آخر الزمان هم أخص الناس وأحققرهم.

يظهر التناص الداخلي في المقامة الساسانية حيث تتناص مع المقامة البغدادية في الألفاظ، عندما قال:
(أراه ولا يراني)⁽¹⁵⁾، ومن تكرار العبارات: (لا فُضَّ فوك، والله درك!)⁽¹⁶⁾ تكررت أكثر من مرة كما في المقامة الناجمية.

في المقامة المكفوفية يقول شعراً⁽¹⁷⁾:

أصبحتُ من بعدُ غنِّي ووفَّر ساكِنَ ففَّرٍ وحليفَ فقِرِّ

- (1) مقامات الهمذاني، ٨٢.
- (2) ابن منظور، لسان العرب، مادة: عقر.
- (3) مقامات الهمذاني، تتكرر في جلِّ المقامات التي يتعرف فيها الراوي على البطل، ولا مجال لحصرها.
- (4) المصدر نفسه، ١٤٣.
- (5) المصدر نفسه، ٣٢-١٩٢.
- (6) الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار (ت ٣٢٨هـ)، الزاهر في معاني كلمات الناس، م ٢، ط ٢، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م، ٣٢٢/١.
- (7) مقامات الهمذاني، ١٦٥، ٧٠-٢١٤.
- (8) المصدر نفسه، ٦٩-١٨٩.
- (9) المصدر نفسه، ٥٥-١٤٢.
- (10) المصدر نفسه، ٣٤-١٤٣.
- (11) المصدر نفسه، ١٦٢.
- (12) المصدر نفسه، ٣٢.
- (13) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني الذهلي (ت ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد، ط ١، م ٢٠، تحقيق: أحمد شاكر، حمزة الزين، دار الحديث للنشر، ١٩٩٥م، ٣٨٩/٥، رقم الحديث: ٢٢٢١٤.
- (14) ابن منظور، لسان العرب، مادة: لكع.
- (15) مقامات الهمذاني، ٧٥-٤٩.
- (16) المصدر نفسه، ١٩٦.
- (17) المصدر نفسه، ٦٣.

وهو يتناص نثرًا مع المقامة الجرجانية: "أعاني الفقر، وأماني القفر"⁽¹⁾، كما يتكرر ذكر اسم: خلف بن أحمد، أمير سجستان، كان مولعًا بالأدباء والشعراء، وهو أحد الأمراء الذين انتخبهم البديع ومدحهم، وله فيه قصائد كثيرة، وقد نسب إحدى مقاماته إليه وهي: المقامة الخلفية⁽²⁾، ومدحه في كثير من مقاماته شعرًا ونثرًا، كما في المقامة النيسابورية، والمقامة السارية، الناجمية، والملوكية، والتميمية، وفي مجموعها تعادل عشر مقامات الهمذاني. وفي المقامة الملوكية تناص داخلي وتكرار: (لا سانح بها إلا الضبع، ولا بارح إلا السبع)⁽³⁾، والسوانح من الطيور والظباء، كانت تجيء من مياسرك فتوليك ميامنها، وأهل نجد يتشاءمون بها، أما البوارح تجيء من ميامنك فتوليك مياسرها، وكانوا يتفألون بها، وهو تناص مع المقامة الفزراية في ذكر السوانح والبوارح، ولكن بطريقة عكسية: (ولا سانح إلا السبع، ولا بارح إلا الضبع)⁽⁴⁾، والمقامتان متشابهتان إلى حد كبير في كثير من المفردات والعبارات، وسأسرد بعضاً منها في الجدول الآتي:

المسلسل	المقامة الملوكية	المقامة الفزراية
١	يصف فيها ليلة رجوعه من الوطن.	- يصف ليلة رجوعه إلى الوطن.
٢	لا سانح بها إلا الضبع، ولا بارح إلا السبع.	- ولا سانح إلا السبع، ولا بارح إلا الضبع.
٣	عن لي في البراح راكبٌ شاكي السلاح.	- إذ عن لي راكبٌ تامّ الآلات، يؤم الأثلاث
٤	فأخذني منه ما يأخذ الأعزل من مثله إذا أقبل	- فأخذني منه ما يأخذ الأعزل من شاكي السلاح.
٥	لكني تجلدت، فوقفت.	- لكني تجلدت، فوقفت.
٦	وقلت: أرضك لا أم لك.	- أرضك لا أم لك.
٧	فدونني شرط الحداد، وخرط القتاد، وحمية أزدية.	- فدونك شرط الحداد، وخرط القتاد، وخصم ضخم، وحمية أزدية.
٨	وأنا سلّم إن كنت. فمن أنت؟	- وأنا سلّم إن شئت، وحرّب إن أردت، فقل لي: من أنت؟
٩	فقال: سلماً أصبت، ورفيقاً كما أحببت.	- فقال: سلماً أصبت.
١٠	فقلت: خيراً أجبت.	- فقلت: خيراً أجبت، فمن أنت؟

(1) المصدر نفسه، ٤١.

(2) المصدر نفسه، ٢٠٣.

(3) المصدر نفسه، ٢٦٧.

(4) المصدر نفسه، ٨٥.

كذلك كرر شعراً في مقاماته قوله: (إسكندرية داري) يذكرها في نهاية مقاماته، وذلك عندما أراد البطل التعريف بنفسه، وفي المقامة المارستانية قال شعراً يتناص مع مقاماته الأخرى شعراً أيضاً، عندما قال: (أنا إسكندر داري... في بلاد الله سارب)⁽¹⁾، وفي المقامة المجاعية يكرر: (أنا من ذوي الإسكندرية)⁽²⁾، أما في المقامة العراقية فيقول⁽³⁾:

إسكندرية داري لو قرر فيها قراري
لكن بالشام ليلى وبالعراق نهاري

وهو تناص داخلي مع المقامة الجاحظية عندما كرر هذه الأبيات من الشعر، لكن باختلاف في البيت الثاني، (لكن ليلى بنجد وبالحجاز نهاري)⁽⁴⁾، وهذا دليل على ترحاله من مكان إلى آخر، لكنه يؤكد على أصله وهو من الإسكندرية. وجاء في المقامة المجاعية نثرٌ مقفى مسجوع عن الرغيف والطعام والجفان، وهو تناص مع ما جاء في المقامة الساسانية من وصف للطعام، لكنه كان شعراً، يقول في المقامة المجاعية: "فَمَا تَقُولُ فِي رَغِيفٍ، عَلَى جِوَانٍ نَظِيفٍ، وَبَقْلٍ قَطِيفٍ إِلَى حَلِّ تَقِيفٍ، وَلَوْنٍ لَطِيفٍ، إِلَى حَزْدَلٍ جَرِيفٍ، وَشِوَاءٍ صَفِيفٍ، إِلَى مَلْحٍ خَفِيفٍ"⁽⁵⁾.

وفي المقامة الساسانية يقول⁽⁶⁾:

أُرِيدُ مِنْكَ رَغِيفاً يَغْلُو خُواناً نَظِيفاً
أُرِيدُ مِلْحاً جَرِيشاً أُرِيدُ بَقْلاً قَطِيفاً
أُرِيدُ لَحْماً غَرِيباً أُرِيدُ خَلاً تَقِيفاً

ويكرر: (صفراء تعجب الحاضرين)⁽⁷⁾ وهو تناص مع القرآن الكريم في سورة البقرة، وذلك في أكثر من مقامة مثل المقامة الموصلية والمقامة الصفرية، نجد الهمداني يصر على ذكر اللون الأصفر، ربما لإعجابه به، أو لأنه عاصر الدولة الصفارية التي حكمت سجستان.

في المقامتين الأخيرتين: المطلبية والبشرية يذكر المردان والأمرد، والأمرد: الشخص الذي لم تنبت له لحية، ولا خط شاربه بعد، ففي المطلبية يقول شعراً⁽⁸⁾:

واصطفى المردان جهلاً من فلانٍ وفلان

أما في البشرية فيقول نثراً في قصة بشر بن عوانة الصعلوك: (فلما رجع بشر يملأ فمه فخرًا، حتى طلع أمرد كشق القمر...) ⁽⁹⁾.

الخلاصة:

(1) مقامات الهمداني، ١٩٩.
(2) المصدر نفسه، ١١٥.
(3) المصدر نفسه، ٢١٤.
(4) المصدر نفسه، ١٠٥.
(5) مقامات الهمداني، ١١١.
(6) المصدر نفسه، ٧٣.
(7) المصدر نفسه، ٢٧٣.
(8) المصدر نفسه، ٣٠٤.
(9) المصدر نفسه، ٣١٢.

يتضح من مبحث التناس الداخلي في مقامات الهمذاني أن التكرار سمة واضحة من سمات الهمذاني، وكان هناك تكرار لمفرداتٍ وجملٍ وعباراتٍ بعينها، وهذا ما يميز أسلوب الهمذاني، فنستطيع إذا ما قرأنا نصًّا مجهول الهوية أن نتعرف على كاتبه من أسلوبه، فلكل كاتب بصمته الخاصة، وأسلوبه الخاص في الكتابة، وقد وقفنا في هذا التناس الداخلي على جزء من أسلوب الهمذاني، حيث أن أسلوبه بدا جلياً واضحاً في مقاماته، التي كان التناس فيما بينها واضحاً للقارئ الحصي

المبحث الثاني:

التناس القرآني

التناس القرآني نوع من أنواع التناس، ويعد مرجعية أساسية يقصدها كثير من الأدباء في تغذية نصوصهم، وذلك في توظيف النص القرآني، وأعمال تحاكي قصص الأنبياء وكذلك الأحاديث النبوية التي لا ينطق فيها النبي عن الهوى، فهو وحي يوحى، في وجود الإيحاء والرمز، ومن هؤلاء بديع الزمان الهمذاني في مقاماته.

شكل التناس القرآني في مقامات الهمذاني ظاهرة لافتة، تجلى ذلك من خلال توظيفه التناس توظيفاً عميقاً، واستخدامه مختلف أنواع التناس وأشكاله؛ لخدمة موضوع المقامة، فظهرت مستويات التناس عن طريق الاقتباس المباشر، أو تغيير بعض الضمانات بما نسويه بلاغياً بالالتفات، أو عن طريق الإيحاء والإحالة على النص المقتبس منه عن طريق التلميح لا التصريح، وبالإشارة لا العبارة.

يظهر التناس القرآني منذ المقامة الأولى وهي القرىضية في قوله: (يسمع الصم، سلوني أجبكم، ألم نريك فينا وليداً، فلا يغرنك الغرور)⁽¹⁾، قال تعالى: "قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ" (الأنبياء: ٤٥)، وقوله عز من قائل: " وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ" (غافر: ٦٠)، وقوله تعالى: " قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ" (الشعراء: ١٨)، وقوله تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ" (فاطر: ٥).

ونلاحظ أن هذه الاقتباسات جاءت متوافقة نصاً مع القرآن الكريم، وهو ما نسويه التناس الاقتباسي أو الاستشهادي، أما في قوله: (سلوني أجبكم)، لم يكن كذلك، ولكنه أحالنا على الآية الكريمة، عن طريق الإتيان بمرادف الكلمة، فسؤال الله هو دعاؤه.

في المقامة القرىضية: "قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ فِي زُهَيْرٍ؟ قَالَ يُذِيبُ الشَّعْرَ، وَالشَّعْرُ يُذِيبُهُ، وَيَدْعُو الْقَوْلَ وَالسِّحْرَ يُجِيبُهُ"⁽²⁾، وهذا القول يحيلنا إلى وصف الرسول صلى الله عليه وسلم للبيان بأن منه السحر "إن من البيان لسحراً"⁽³⁾.

كشفت الهمذاني من خلال هذا المستويات على انسجام بعض الألفاظ في مقاماته مع ألفاظ القرآن الكريم وبراعة صياغتها، يقول في المقامة الأهوازية: (قُلْنَا: لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيْنَا، وَلَكِنْ مَا شِئْتَ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا وَرُخْرَفِهَا، قَالَ لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا، وَإِنَّمَا حَاجَتِي بَعْدَ هَذَا أَنْ تَخْذُوا أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تَعُوا)⁽⁴⁾، وبدلالة هذا يبدو للقارئ من خلال مرجعيته أن هذا المعنى مقتبس من قوله تعالى: "وَرُخْرَفًا وَإِنْ كُنْ"

(1) مقامات الهمذاني، ١٢-١٥.

(2) المصدر نفسه، ٨.

(3) العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٠/٢٣٧.

(4) مقامات الهمذاني، ٥٥.

ذَلِكَ لَمَا مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ" (الزخرف: ٣٥). ومدلولها القرآني: وزخرفاً: أي وذهباً ومتاع الحياة الدنيا: أي إنما ذلك من الدنيا الفانية الزائلة الحقيرة عند الله تعالى، وهو تناص إلهي.

تعدُّ المقامة الأهوازية مقامةً وعظيمةً عن الموت: (فصاح بنا صيحةً كادت لها الأرض تنفطر، والنجوم تنكدر)^(١)، وهي تتناص مع قوله تعالى: "إذا السماء انفطرت. وإذا الكواكب انتثرت" (الانفطار: ١-٢) ومع قوله تعالى: "إذا الشمس كورت". وإذا النجوم انكدرت" (التكوير: ١-٢)

وفي المقامة العلمية يقول: (ولا نقسم بالأزلام)^(٢) تناص مع قوله تعالى: "وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق" (المائدة: ٣)، وفي المقامة الحرزية يقول: (جنّ علينا الليل)^(٣) تناص مع قوله تعالى: "فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْإِفْلِينَ" (الأنعام: ٧٦).

المقامة النهيدية يعني الزبدة (وأكرمتُ مثنوانا)^(٤) تناص مع القرآن الكريم في قوله: "وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثنواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدأ" (يوسف: ٢١)، لكن هنا نلاحظ الالتفات، وهو تغيير الضمائر، من أسلوب الأمر والمخاطب في الفعل، إلى الغائب والمتكلم في المقامة، أما في المقامة الإبليسية فيقول: (أشجارٌ باسقة)^(٥)، تناص مع قوله تعالى: "والنخل باسقاتٍ لها طلعٌ نضيد" (ق: ١٠)

وفي المقامة البخارية: (اذكروني أذكركم وأعطوني أشكركم)^(٦) تناص مع قوله تعالى: "فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون" (البقرة: ١٥٢)، يا له من تفضل، ويا لها من مكافأة، إن الله عز وجل يجعل ذكره لعباده الذين يذكرونه مكافأةً لهم لذكركم إياه، إنه الفضل الذي لا يفيضه إلا الله، الذي لا حاسب لعطاياه ولا خازن لفضله.

في المقامة الوعظية يقول: (أعدوا لهم ما استطعتم من قوة)^(٧) يتناص مع قوله تعالى: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ" (الأنفال: ٦٠)، وهو اقتباس استشهادي، لكن الهمداني يذكره في معرض خطبته؛ لذلك فهو تناص اجتراري للنص القرآني، وفي قول الهمداني: (فأعدوا له زاداً، ويحيي العظام رميمًا)^(٨)، تناص مع قوله تعالى: "وَتَرَوُّوا فَأِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى^٥ وَاتَّقُونَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ" (البقرة: ١٩٧)، وقوله سبحانه: "وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ^٦ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ" (سورة يس: ٧٨)، وكلها تناص اجتراري للنص القرآني.

المقامة الساسانية من أكثر المقامات شعراً، وهو يتناص مع قوله تعالى: "وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى" (طه: ٢٢) في قوله^(٩):

واضمم يديك لأجلي إلى جناحك عمدا

(١) المصدر نفسه، ٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ٢١٢.

(٣) المصدر نفسه، ١٠٠.

(٤) المصدر نفسه، ١٦٨.

(٥) المصدر نفسه، ١٧٣.

(٦) المصدر نفسه، ٢١٤.

(٧) مقامات الهمداني، ١٥١.

(٨) المصدر نفسه، ١٥٣.

(٩) المصدر نفسه، ٧٣-٧٤.

في المقامة القزوينية: (حتى سمعنا صوتاً أنكروا من صوت حمار) (1) تناص مع قوله تعالى: "إن أنكروا الأصوات لصوت الحمير" (لقمان: ١٩)، وهذه المقامة من أكثر المقامات شعراً وتناساً مع القرآن الكريم، فهو يتناص مع قوله تعالى: "في جنّةٍ عاليةٍ قطوفها دانية" (الحاقة: ٢٢-٢٣) كما في قوله (2):

وجنةٍ عاليةٍ ما تنى قطوفها دانية ما تغيب

ويتناص مع قوله تعالى: "نصر من الله وفتح قريب" (الصف: ١٣) في قوله (3):

فقلت إذا لاح شعار الهدى نصر من الله وفتح قريب

وفي قوله: (حدائق وأعناباً وكواعب أتراباً، وخيلاً مسومة، وقناطير مقنطرة) (4)، تناص مع قوله سبحانه وتعالى: "إِنَّ لِلْمُنْتَفِيئِينَ مَفَازًا* حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا* وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا" (النبأ: ٣١-٣٣)، ومع قوله: "زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ* ذَلِكَ مَتَاعُ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَايبِ" (آل عمران: ١٤). وفي المقامة الصميرية: (فحملوهم بكره خاسرة) (5) تناص مع القرآن الكريم في قوله تعالى: "قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ" (النازعات: ١٢).

في المقامة المضيرية: (ولازمني ملازمة الغريم والكلب لأصحاب الرقيم) (6)، تناص مع قوله تعالى في سورة الكهف: "أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ أَصْحَابَ الْكُهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا" (الكهف: ٩)، وقصة أصحاب الكهف معروفة، أما الرقيم فهو: اللوح المكتوب فيه أسماءهم وأنسابهم.

وفي المقامة الدينارية يقول: (يا منع الماعون) (7) تناص مع قوله تعالى: "الذين هم براءون. ويمنعون الماعون" (الماعون: ٦-٧)، يقول البديع في المقامة الصميرية: (وإنما كانت حاجة في نفس يعقوب قضاها) (8) تناص قرآني مع قوله تعالى: "وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا" (يوسف: ٦٨).

تتنوع اقتباسات الهمداني بتقنية التناص الاجتراري في استحضار جزئي أو كلي للنص الغائب، ففي المقامة الموصلية يقول: (هل سمعتم لهذا العليل ركزاً، أو رأيتم منه رمزاً) (9)، يتناص مع قوله تعالى: "وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا" (مريم: ٩٨)، وفي قوله تعالى لذكرياً عليه السلام: "قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً* قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا* وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسِحِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ" (آل عمران: ٤١).

(1) المصدر نفسه، ٦٩.

(2) المصدر نفسه، ١٢٨.

(3) المصدر نفسه، ١٣٠.

(4) المصدر نفسه، ١٣٠-١٣١.

(5) مقامات الهمداني، ٢٣٦.

(6) المصدر نفسه، ٨٣.

(7) المصدر نفسه، ٢٦٠.

(8) المصدر نفسه، ٢٢٥.

(9) المصدر نفسه، ٨٠.

يقول الهمداني في المقامة المكفوفية شعراً: (يا حسنها فاقعة صفراء...ممشوقة منقوشة قوراء)⁽¹⁾، فهو يصف هنا الدينار، وفي المقامة الموصلية يكرر قوله: (بقرة صفراء)⁽²⁾، يتناص مع قوله تعالى: " قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ " (البقرة: ٦٩)، ويقول الهمداني: (فأنقطع عليها حسرات)⁽³⁾ تناص مع قوله تعالى: "فلا تذهب نفسك عليهم حسرات" (فاطر: ٨). وفي المقامة المارستانية: تضمين واقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف في أكثر من موضع⁽⁴⁾، فقد ضمنها واقتبسها كما هي، كما في قوله تعالى: "قل ولو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم" (آل عمران: ١٥٤)، وقوله تعالى: "من يضل الله فلا هادي له" (الأعراف: ١٨٦)، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "زويت لي الأرض فأريت مشارقتها ومغاربها"⁽⁵⁾.

وحديث: "عرضت علي الجنة حتى هممت أن أقطف ثمارها..."⁽⁶⁾، وقوله: (أنغضتم رؤوسكم)⁽⁷⁾ تناص مع قوله تعالى "فسينغضون إليك رؤوسهم" (الإسراء: ٥١)، وقوله: (أبالله وآياته ورسوله تستهزون) تناص مع قوله تعالى: "قُلْ أِبَالَهُ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ" (التوبة: ٦٥)، ويقول: (ويحك هلا تخيرت لنطفتك)، تناص مع حديث ينسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم: "تخيروا لنطفكم..."⁽⁸⁾ وفي المقامة الأرمنية يقول: (حتى أتينا قرية استطعنا أهلها)⁽⁹⁾، وهو تناص قرآني مع سورة الكهف، حينما قال عز وجل على لسان موسى عليه السلام: "فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَا أَهْلُهَا فَأَبَوا أَن يُضَيِّقُوا لَهُمَا" (الكهف: ٧٧).

في المقامة الشيرازية يقول: (اللهم اجعلني خيراً مما يظنون)⁽¹⁰⁾، وهو تناص مع أدعية كثيرة وردت عن أبي بكر وابن مسعود: "اللهم اجعلني خيراً مما يظنون، ولا تؤاخذني بما يقولون"⁽¹¹⁾ ويقول الهمداني: (نكحت خضراء الدمن) وهو تناص مع حديث ينسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم: "إياكم وخضراء الدمن"⁽¹²⁾، أي: المرأة الحسنة في المنبت السوء.

الملاحظ في تضمين المقامات بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وتناص الهمداني معها، أن أغلبها لم يكن صحيحاً، وبعضها كانت ضعيفة، أو أنها لم تثبت نسبتها للرسول صلى الله عليه وسلم، وهنا لا بد لنا من وقفة، والتساؤل عن سبب تضمين الهمداني مقاماته أحاديث غير صحيحة، على الرغم من دقة اختياراته، واقتباسه للقرآن والحديث في آن واحد.

المبحث الثالث:

التناص مع التراث

- (1) المصدر نفسه، ١٦٤.
- (2) المصدر نفسه، ٨٢.
- (3) المصدر نفسه، ٨٩.
- (4) مقامات الهمداني، ١٠٧-١١٠.
- (5) أحمد، مسند الإمام أحمد، ٢٧٨/٥، رقم: ٢٢٤٤٨.
- (6) لم أقف على تخريج الحديث، بل وجدت حديث: "عرضت علي الجنة والنار، فلم أر كاليوم في الخير والشر..."، في صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: توقيف النبي، رقم: ٢٣٥٩.
- (7) مقامات الهمداني، ١٠٩.
- (8) حديث غير صحيح، لكن معناه لا بأس به، وجد عند ابن ماجه فقط، وقيل إن الدليمي أخرجه من حديث لابن عباس، وفيه: "تخيروا لنطفكم، وانكحوا الأكفاء، وانكحوا إليهم"، أما رواية: "فإن العرق دساس" غير صحيحة.
- (9) مقامات الهمداني، ١٩٢.
- (10) المصدر نفسه، ١٥٩.
- (11) القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، حصن المسلم من أنكار الكتاب والسنة، ط٥، وزارة الشؤون الإسلامية للأوقاف والإرشاد، المملكة العربية السعودية، (د.ت)، باب: ما يقول المسلم إذا زكى، رقم: ٢٣٢.
- (12) حديث غير صحيح، ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة.

إن قارئ المقامات يلحظ أنها تتعالق من عناوينها وبنياتها الاستهلالية إلى آخر عبارة أو جملة وكلمة فيها مع نص أدبي أو حديث أو نص فقهي أو تاريخي أو نقدي،⁽¹⁾ وهناك أمور تكون مشتركة بين مجموعة من النصوص النثرية مثل: **الموضوع أو وصف رحلة وحادثة**: أما وصف الرحلة فهو يرد في القصائد الجاهلية، ويكون تمهيداً لغيره، كما يتردد على السنة التجار، والرحالة، والمغامرين، وجوابي الآفاق، فهذا الوصف ليس حكرًا على المقامات وحدهما في النثر، بل يتعداهما إلى كثير من النصوص الشعرية أيضاً.

استعمال السجع: وهو مذهب عريق في النثر الأدبي العربي، ضارب جذوره فيه منذ أقدم أزمان الجاهلية، وقد استعمل في جملة كبيرة من النصوص النثرية، لأنه كان بمنزلة القافية في الشعر، وقد اتبعه عدد كبير من النثرين القدماء، والسجع يتميز بقصر الجمل والإكثار من الحكم والأمثال، والتفصيل والازدواج، ويرد غالب السجع في كلام الكهان لذلك وسم بهم، فقول: (سجع الكهان)، وقد نهى عنه رسولنا صلى الله عليه وسلم، وذلك عندما قال لأحدهم وكان يتكلم سجعاً: "أسجع كسجع الكهان!" وفي رواية "ياكم وسجع الكهان"⁽²⁾، وفي الحديث أنه نهى عن السجع في الدعاء، وإنما كره السجع في الكلام لمشاكلته كلام الكهنة، قال الجاحظ: "وكان الذي كرهه الأسجاع بعينها وإن كانت دون الشعر في التكلف والصنعة، أن كهان العرب الذين كان أكثر الجاهلية يتحاكمون إليهم، وكانوا يدعون الكهانة وأن مع كل واحد منهم رثياً من الجن، مثل حازي جُهينة، ومثل شق وسطيح، وعزى سلمة وأشباههم، كانوا يتكهنون ويحكمون بالأسجاع؛ كقوله: (والأرض والسماء، والعقاب الصقعاء، واقعة بيقعاء، لقد نفر المجد بني العشراء، للمجد والسناء)، فوقع النهي في ذلك الدهر لقرب عهدهم بالجاهلية، ولبقيتها فيهم، وفي صدور كثير منهم، فلما زالت العلة زال التحريم"⁽³⁾

استعمال الغريب: وهو مذهب اتبعه بعض الشعراء والنثرين العرب إما لغاية تعليمية، أو لإثبات قدراتهم اللغوية وسعة اطلاعهم، أو للتباهي وإثبات التفوق على الآخرين، وبديع الزمان كان يستعمله تكلفاً، لغاية التعليم والاستعراض والتباهي وإثبات التفوق، ولم يكن عفو الخاطر.

الطريقة السردية: نلاحظ أن كثيراً من نصوص النثر الأدبي العربي تأخذ بهذه الطريقة في القصص، والحكايات، والنوادر، والنكت، وغيرها، والسرد من أوسع الطرق في أدبنا العربي انتشاراً وأكثره نصوصاً بشكله الشفوي والمكتوب.

كان الهمداني يطرح القضايا التي تشغل عصره، ومنها القضايا البلاغية والنقدية التي شغلت النقاد حتى أواخر القرن الثالث الهجري، ومنها قضية بواعث الشعر والموازنة بين الشعراء والقديم والحديث، لم يكتف الهمداني بعرضها، بل تناص معها، وحاو أصحابها بلغةً جماليةً رفيعة. يقول أبو الفتح الإسكندري⁽⁴⁾:

فإن شيطاني أمير الجن يذهب بي في الشعر كل فن

(1) الإدريسي، مولاي يوسف (٢٠١٥م)، **التناص النقدي في مقامات بديع الزمان الهمداني**، مجلة جنور، ع: ٣٩، يناير-النادي الأدبي الثقافي بجدة- المملكة العربية السعودية، ٥٤.

(2) النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن سنان الخراساني (ت ٣٠٣هـ)، **سنن النسائي**، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ٥٠/٨.

(3) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، **البيان والتبيين**، تحقيق: عبد السلام هارون، م٤، ط٧، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م، ١/١٥٤.

(4) مقامات الهمداني، ٢١٠.

تناص مع التراث وتأكيد لفكرة أن لكل شاعر شيطان من وادي عبقر، و في السياق نفسه يقول أحد شياطين الجن: "ما أحد من الشعراء إلا ومعه معين منا" (1)، ومن بواعث الشعر عنده الخلوة: "كنت أجتاز بعض بلاد الأهواز، وقصاراي لفظة شرود أصيدها، وكلمة بليغة أستزيدها" (2) وهنا يتناص مع النقاد الذين سبقوه، في أن الخلوة والهدوء من أسباب بواعث الشعر، كما جاء في العمدة لابن رشيق ما رواه عن كثير عزة عندما سئل: "كيف تصنع إذا عسر عليك الشعر؟ قال: أطوف في الرباع المخلية" (3)، كما قال ذلك ابن قتيبة وذكر أن الفرزدق إذا أجبل وأرتج عليه ركب ناقته وطاف خاليًا في شعاب الجبال أو بطون الأودية (4).

لقد كانت المفاضلة بين الشعراء والقول بأن فلاناً أشعر من فلانٍ إطلاقاً واحداً من أسس النقد القديم، وكانت المفاضلة بين القدماء وبين المتأخرين تملأ المجالس الأدبية في حضرة صاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ) (5) التي كان يرتادها بديع الزمان، وأدلى فيه الهمداني ببلوه مع دلاء الآخرين، ففي قضية القديم والحديث يدلي برأيه على لسان أبي الفتح، ويميز بين الشعراء المتقدمين والمتأخرين، وينتصر للقديم، وهو بذلك يتناص مع أحكام النقاد قبله مثل الأصمعي وابن سلام وابن قتيبة في تفضيلهم للمتقدمين، وتعصبهم للقديم، على الرغم من إعجابه بشعر المتأخرين أمثال أبي نواس وغيره.

يعلن أبو الفتح الإسكندري في المقامة القريضية ناطقاً بلسان الهمداني عن المفاضلة بين الشعراء، كأن يقول: "فقلنا: ما نقول في امرئ القيس؟ قال: هو أول من وقف بالديار وعز صاتها، واغتدى والطير في وكناتها، ووصف الخيل بصفتها، ولم يقل الشعر كاسياً" (6).

وهو يتناص مع قول امرئ القيس (7):

وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

وفي المقامة نفسها تناص مع كثير من النقاد، وأطلق أحكاماً تناص فيها مع الشاعر تارة، ومع الناقد تارة أخرى، يقول: "قلنا: فما نقول في النابغة؟ قال: يتلب إذا حنق، ويمدح إذا رغب، ويعتذر إذا رهب، فلا يرمي إلا صائباً... قلنا: فما نقول في جرير والفرزدق؟ أيهما أسبق؟ فقال: جرير أرق شعراً، وأغزر غزراً والفرزدق أمتن صخراً... فما نقول في المحدثين من الشعراء والمتقدمين منهم؟ قال: المتقدمون أشرف لفظاً، وأكثر من المعاني خطأ، والمتأخرون أطف صنعا، وأرق نسجاً" (8).

يعد الهمداني امرأ القيس أول شاعر عربي، فقد حكم الهمداني على شاعريته وقيمتها على لسان أبي الفتح الإسكندري، كذلك أصدر حكماً على النابغة الذبياني، وهنا يستثمر آراء وأحكام نقدية سابقة قد أكدت الفكرة، لكنه أعاد صياغتها وبلورتها بأسلوب جمالي، يجمع بين عمق الفكرة ودقة العبارة وبراعة الأسلوب.

(1) المصدر نفسه، ٢٥٥.

(2) المصدر نفسه، ١٤٨.

(3) ابن رشيق، العمدة، ٣٧٤/١.

(4) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٩٥/١.

(5) الثعالبي، ينيمة الدهر، ٢٦٩/٤.

(6) مقامات الهمداني، ١٢.

(7) امرؤ القيس، خندج بن حجر (ت ٥٦٥م)، ديوان امرئ القيس، ط ٤، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م، ١٩.

(8) مقامات الهمداني، ١٤.

كان الهمداني يضع الشعراء في طبقات تمثيلاً مع نقاد عصره، يقول في زهير: (يذيب الشعر، والشعر يذيبه)⁽¹⁾، وهنا نلاحظ كثيراً من الأحكام النقدية على الرغم من أن المقامات ليست كتاباً نقدياً، وفي موازنته بين الفرزدق وجرير يتناص مع حكم الأخطل بينهما، عندما قال: "جرير يغزف من بحر، والفرزدق ينحت من صخر"⁽²⁾، فقد وزن بين الفرزدق وجرير معتمداً على إبراز تصورات النقاد في القرنين الثاني والثالث للهجرة، فهو يتناص مع السؤال المشهور في قولهم: ما تقول في الشاعر؟ ولكنه يضيف إليه وأيهما أسبق؟

في المقامة الجاحظية مقارنة نقدية بين الجاحظ وابن المقفع، وضمنها آراءً نقدية، فيفاضل بينهما، ويقول: (لك عمل رجال، ولكل مقام مقال، ولكل زمان جاحظ)⁽³⁾ يتناص مع المثل المشهور: "لكل عمل رجال، ولكل زمان دولة ورجال"⁽⁴⁾ أما قوله: (لكل مقام مقال) مأخوذ من قول طرفة لعمر بن هند⁽⁵⁾:

تصدق علي هداك المليك فإن لكل مقام مقالاً

في المقامة الجاحظية أيضاً يقول على لسان بطله أبي الفتح يقول: "إن الجاحظ منقاد لعريان الكلام يستعمله، نفور من معاصره يهمله، فهل سمعتم له لفظة مصنوعة، أو كلمة غير مسموعة؟ فهو بعيد الإشارات، قليل الاستعارات، قريب العبارات"⁽⁶⁾. لقد كفانا المحقق: محمد عبده منذ نصف قرن وأكثر مؤونة الرد على البديع، عندما قال فيما علقه من حواشٍ على هذه المقامة: "وهذه الأوصاف التي يعدها كأنها من مناقص كلام الجاحظ، هي أعلى مزايا الكلام عند أهله، وهي التي ترفع مقامه على غيره، وهذا المذهب الذي سلكه الجاحظ هو مذهب رجال البلاغة الأول، ومجال فرسانها السابق، أما المصنوعات فهي من أحداث الموضوعات، لا ينظر إليها إلا صبية هذه الصناعة" فكأنني بالبديع، بعدما فرغ من أبي بكر الخوارزمي، قد أراد التطاول إلى سدة الجاحظ العليا، فقتل له الإمام العصا، ومن قرع الباب سمع الجواب⁽⁷⁾.

في المقامة العلمية التي يصف فيها البديع العلم هي معارضة لوصف الجاحظ للكُتَّاب، ويتناص الهمداني من حيث المضمون مع كتاب الجاحظ (البخلاء)⁽⁸⁾، وما كتب عن الشحادين أهل الكدية، مثل شخصية خالد بن يزيد المكدي، فمن قرأ بخلاء الجاحظ ووقف على حديث خالد بن يزيد عرف أن الجاحظ هو أول من حدثنا عن القصص والكدية والمكدين، وأن البديع أخذ هذا الحديث أيضاً وفصله في المقامات: الوصية، والرصافية.

(1) المصدر نفسه، ١٣.

(2) ينظر: الجمحي، محمد بن سلام (ت ٢٣٢هـ) *طبقات فحول الشعراء*، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٤م، ٤٥١/١.

(3) مقامات الهمداني، ١٠٥.

(4) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (ت ٥١٨هـ)، *مجمع الأمثال*، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج ٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢م.

(5) ابن العبد، طرفة (ت ٥٦١م)، *ديوان طرفة بن العبد*، شرح: مهدي ناصر الدين، ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، في ملحق الديوان بشرح الأعلام الشنتمري، تحقيق: دربة الخطيب ولطفي الصقال، مجمع اللغة العربية دمشق، ١٩٧٥م، ١٨٩.

(6) مقامات الهمداني، ٩٠.

(7) الهمداني، *مقامات بديع الزمان*، تحقيق محمد عبده، ٩٠، ينظر: عبود، مارون (٢٠١٣)، *بديع الزمان الهمداني*، كلمات للترجمة والنشر، القاهرة، ٣٥-٣٦.

٨ الجاحظ، *البخلاء*، ٤٤.

المقامة الكوفية يقول: (فلما انصاح النهار بجانب ليلي)⁽¹⁾، وهو يتناص مع قول الفرزدق⁽²⁾:
والشيب ينهض في الشباب كأنه ليلٌ يصيح بجانبه نهارٌ

ويقول: (فلن يذهب العرف بين الله والناس)⁽³⁾، وفيها يتناص مع قول الحطيئة⁽⁴⁾:
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

وهذا القول مكتوبٌ في التوراة أيضاً، كما ورد في الأثر، عندما أنشد الحطيئة عمر بن الخطاب هذا البيت وكعب الأحبار عنده، فقال كعب: (يا أمير المؤمنين من هذا الذي قال هذا؟ هو مكتوب في التوراة، فقال عمر: كيف ذلك؟ قال: في التوراة مكتوب: "من يصنع الخير لا يضيع عندي، لا يذهب العرف بيني وبين عبيدي")⁽⁵⁾.

يقول في المقامة القزوينية شعراً: (أنا أمسي من النبيت وأضحى من العرب)⁽⁶⁾، يتناص شعراً مع قول أبي العلاء المعري⁽⁷⁾:
أين امرؤ القيس والعدارى إذ مال من تحته الغييط
استعجم العرب في الموامي بعدك واستعرب النبيت

أما الهجاء في المقامة الدينارية وسيل الشتائم المتبادلة بين أبي الفتح ورجل من ساسان لأجل دينار، فلها شبيه في حكاية أبي القاسم البغدادي لأبي المطهر الأزدي⁽⁸⁾، وإذا نظرنا نظرة عامة إلى هذه المقامات رأيناها معرضاً لصور الحياة الاجتماعية في عصر البديع، فبديع الزمان يعالج فيها الأزمات النفسية والتناقضات، ويرسم لنا صوراً اجتماعية أوحى بها إليه زمنه ومحيطه.

يقول الهمداني في المقامة نفسها: (يا غداة البين)⁽⁹⁾ أي: ساعة الفراق، وهو يتناص مع قول امرئ القيس⁽¹⁰⁾:
كأنني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل

ويقول: (يا مقتل الحسين)⁽¹¹⁾ إشارة إلى مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في كربلاء، ويقول: (يا أقبح من حتى في مواضع شتى)⁽¹²⁾، إشارة إلى قول أحد النحاة: "أموت وفي نفسي شيء من حتى"⁽¹³⁾.

- (1) مقامات الهمداني، ٢٤.
- (2) الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة (ت ١١٤هـ)، ديوان الفرزدق، ط١، تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ٢٣٨.
- (3) مقامات الهمداني، ٢٦.
- (4) الحطيئة، جرول العبيسي أبو مليكة (ت ٤٥هـ)، ديوان الحطيئة، تحقيق: مفيد قميحة، ط١، دارو الكتب العلمية، ١٩٩٣م، ١٢٠.
- (5) الجاحظ، المحاسن والاضداد، تحقيق: علي فاعور وآخرون، دار الهادي للنشر، بيروت، ١٩٩١م، ١٢/١.
- (6) مقامات الهمداني، ٧٣.
- (7) الأصفهاني، أبو الفرج (ت ٣٥٦هـ)، كتاب الأغاني، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، م ٢٥، ط٣، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٨م، ٦١/٥.
- (8) الأزدي، أبو المطهر محمد بن أحمد (ت هـ)، حكاية أبي القاسم البغدادي، تحقيق: آدم ميتز، الناشر: مكتبة المثنى لصاحبها قاسم محمد الراجب، ١٩٠٢م، وقد نسب بعضهم هذه الحكاية إلى التوحيدي.
- (9) مقامات الهمداني، ٢٦٠.
- (10) ديوان امرئ القيس، المعلقة: ٩.
- (11) مقامات الهمداني، ٢٦٢.
- (12) المصدر نفسه، ٢٦٣.
- (13) لم أقف على قائل هذا القول بشكل أكيد، وقد نسبت إلى سيبويه تارة، وإلى الفراء تارة أخرى، وثمة عبارة قريبة من هذه العبارة، تنسب إلى أحد النحاة، وهي: "هربت من حتى، حتى حنحتني".

إذا انتقلنا إلى المقامات الأخرى مثل المقامة الخمرية رأينا الهمداني ينتصر فيها لأبي نواس على الرغم من عدم ذكر اسمه صراحةً، لكنه عرف بمعاقرته الخمر وكثرة شعره فيها، وكذلك قيل إنه تاب في آخر أيامه، وفي هذه المقامة كان أبو الفتح واعظاً، ثم انقلب في آخر المقامة منادماً للخمر، فكان البديع يلح إلى تقلب الأحوال، وأن أبا الفتح صورةً عكسية لأبي نواس⁽¹⁾. لقد أبدع بديع الزمان في وصف الخمر، وتعداد أسمائها، وذكر مجالس اللهو، وتهافت الشباب على اللذات ووصف الغلمان، يريد أن يكون له في النثر ما كان لأبي نواس وغيره في الشعر، ولم يقف البديع عند هذا الحد، بل جمع في المقامة الحمدانية جميع أوصاف الخيل، ما تفرق في منظوم العرب ونثرهم.

يقول الهمداني في المقامة الحرزية: (لا نحير جواباً)⁽²⁾، تناص مع قول الأخطل⁽³⁾:

هلا ربعت فتسأل الأطلالا ولقد سألت فما أحرن سؤالا

في المقامة الأسودية أنشد يقول⁽⁴⁾:

فإن شيطاني أمير الجن يذهب في الشعر كل فن

وهذا تكريس لظاهرة شياطين الشعر، أما شخصية الأسود بن قنان الذي ورد في هذه المقامة فقد ورد في فصل المديح من كتاب المبالغة في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ)، وقد ذكر فيه: (...وهذا بيت الأسود بن قنان، أخواله كلب، وأعمامه شيبان...)⁽⁵⁾، وقد ذكر هذا الاسم أيضاً في كتاب مسهب بليغ بين النثر والشعر للأمير أبي عبد الله بن الأحمر الغرناطي، بعث به إلى سلطان فاس متوسلاً مستغيثاً، متوجعاً من بني الأسبان، وهو من إنشاء الشاعر الناثر أبي عبد الله محمد بن عبد الله العربي العقيلي، وهو محمد بن الأحمر آخر ملوك الأندلس، وقد سماه: (الروض العاطر الأنفاس في التوسل إلى المولى الإمام سلطان فاس)⁽⁶⁾، وفيه يقول: (إن أغاث ملهوقاً فما الأسود بن قنان يذكر...)⁽⁷⁾.

في المقامة الأسدية نلاحظ تناصها مع وصف الأسد لأبي زبيد الطائي، وهو نص نثري للشاعر أبي زبيد الطائي، كان قد تحدث به في مجلس الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه - بالمدينة المنورة⁽⁸⁾، إن نص أبي زبيد في صفة الأسد يكتسب روعته من ذلك التأثير الذي أحدثه في الحاضرين في مجلس الخليفة الذي كان ينظر في الحضور في أثناء حديث أبي زبيد عن هيبة الأسد وصفاته المرعبة، ويرى تلون وجوههم وجحوظ أعينهم وارتعاد فرائصهم وقرع أسنانهم، وكان الأسد بينهم يوشك أن ينقض على كل واحد منهم، حتى اضطر الخليفة إلى أن يقطع على أبي زبيد حديثه عنه فجأة وبشيء من الحدة، لما رأى من رعب في

(1) مقامات الهمداني، ٢٨٩.

(2) المصدر نفسه، ١١٠.

(3) الأصفهاني، الأغاني، ٢٠٠/٥.

(4) مقامات الهمداني، ١٢٥.

(5) العسكري، أبو هلال (ت ٣٩٥ هـ)، ديوان المعاني، تحقيق: أحمد سليم غانم، ط ١، ٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣ م.

(6) المقرئ، أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١ هـ)، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ط ٨، ١، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨ م.

(7) مقامات الهمداني، ١٢٥-١٢٦.

(8) الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ٥٩٣-٥٩٩.

نفوس القوم دفعه إلى أن يقول لأبي زبيد وهو يدعو عليه دعاء قاسياً: (اسكت، قطع الله لسانك، فقد أرعبت قلوب المؤمنين)⁽¹⁾، وقد اضطر أبو زبيد أن يبتر حديثه ذاك بترًا، ولو أنه أكمله لجاؤنا النص بصورة أروع مما نراه، ولا شك في شهرة هذا النص منذ ذلك الحين، وزادت شهرته لما أثبتته ابن سلام في طبقاته مع أخبار أبي زبيد في الطبقة الخامسة من الشعراء الإسلاميين.

مستويات التناسل بين المقامة الأسدية وصفة الأسد⁽²⁾:

وهذه المستويات تبرز تفاصيل التأثير الذي تركه نص أبي زبيد في الهمذاني، ويمكن أن نستنبط ذلك من التناسل اللفظي (المعجم اللغوي)، والتناسل السياقي، والتناسل النفسي، والتناسل في الصورة الفنية.

التناسل اللفظي:

نلاحظ أن مجموعة من الألفاظ التي وردت عند أبي زبيد تتكرر بذاتها أو يتكرر قريب منها في التعبير عن النزول ومجريات ظهور الأسد والأحداث التي رافقته والتأثيرات التي أحدثتها في الحيوانات (الخيول، الإبل، البغال) عند أبي زبيد، و(الخيول) فقط عند بديع الزمان من جهة، وفي الإنسان من جهة ثانية.

التناسل السياقي:

يتعلق هذا النوع من التناسل برسم الشخصيات وتصوير الأماكن ووصف الأحداث والأجواء المحيطة والظروف القائمة، ومجريات الأحداث فيها وشخصياتها ونتائجها تكاد تكون واحدة، فضلاً عن أن التعبير عنها ووصفها يكاد يكون متقارباً جداً، وأهم من ذلك كله أن التسلسل في ذكر الأماكن وسرد الأحداث ووصف سلوك الإنسان والحيوان يكاد أن يكون واحداً أيضاً، مع خلاف يسير في النهاية بسبب إسكات الخليفة أبا زبيد عن متابعة السرد، وامتلاك بديع الزمان ناصية حريته في رسم النهاية التي وظفها في خدمة غايته الفلسفية التي أراد أن يصل إليها أو يعبر لنا عنها، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على اطلاع بديع الزمان على نص أبي زبيد، في تناسل واضح لا يمكن إنكاره بأي حال.

التناسل النفسي:

لو تتبعنا الأحوال النفسية في النصين التي مر بها المسافرون لوجدنا نوعاً من التوازي بينهما، فضلاً عن عنصر التسلسل في التناسل اللفظي، وفي التناسل السياقي، وهذا ما يرسخ التناسل أكثر فأكثر بين النصين.

التناسل في الصورة الفنية:

من تلك الصور عند أبي زبيد صورة مبالغ فيها للحر الشديد الذي عانى منه رفاق الرحلة، ومهد له بأن المسير كان في (حمارة القيط)⁽³⁾، لما يبعث عليه هذا الحر من ضيق وتعب وعطش وجفاف، ومقابل هذه الصورة عند بديع الزمان صورة قريبة منها بسبب طول المسير واجتياز المسافات التي مر بها رفاق السفر على النجاد والسهول، وهو الأمر الذي سيؤدي بطبيعة الحال إلى المعاناة من الحر والتعب.

صورة الفرع من ظهور الأسد:

(1) المصدر نفسه، ٥٩٣.
(2) للاستزادة ينظر: المقداد، محمود (٢٠١٣م)، مستويات التناسل بين المقامة الأسدية لبديع الزمان الهمذاني وصفة الأسد لأبي زبيد الطائي، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٩، العدد: ٢٠١١.
(3) الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ٥٩٥.

كان أول من تنبه لظهور الأسد في النصين حيوانات القوم (الخييل والإبل والبغال عند أبي زبيد) و(الخييل عند بديع الزمان)، وكانت ردة فعل الخيل خاصة متشابهة في النصين ما بين وصهيلٍ وفحصٍ بالرجلين واضطرابٍ في الحركة، ومحاولة قطع القيود وجذ الحبال والهرب أو محاولة الهرب من شدة الفزع، أما القوم فقد كانت ردة فعلهم واحدة، تتمثل في الهرع إلى أسلحتهم وإشهارها، والتداعي لمواجهة هذا الأسد.

صورة الأسد المرعبة:

رسم كل من أبي زبيد وبديع الزمان صورة مرعبة جداً للأسد في أثناء ظهوره، وخلال تقدمه وعند عزمه على الانقضاض، غير أن صورة أبي زبيد كانت أكثر تفصيلاً، وأدق تصويراً، لأنه وقف عند كثير من أعضائه: كالصدر، والبلاعيم، والأرماغ، والهامة، والخذ، والعينين، وغيرها.

المقامة المضيرية فيها ذكرٌ لمعاوية، وفيها أيضاً: (رُبَّ سَاحٍ لِقَاعِد) (1) تناص مع قول النابغة في إحدى اعتذارياته للنعمان، ويقال إن أول من قالها: (رب ساع لقاعد) هو معاوية، يقول النابغة (2):

أتى أهلهُ منه حياءً ونعمةً وربّ امرئٍ يسعى لأخرَ قاعد

في المقامه الحرزية: (ورضيت من الغنيمة بالإياب) (3) قالها نثرًا، وصارت مثلاً يضرب في الخيبة وضياح الأمل (4)، وهو تناص مع قول امرئ القيس (5):

وقد طوّفتُ في الأفاق حتّى رضيتُ من الغنيمة بالإياب

أما المقامة العراقية (6) ففيها اقتباسات من أقوال الشعراء مثل: الأعشى وأبي نواس وابن الرومي وعمرو بن كلثوم وامرئ القيس، وذكر أحكاماً نقدية، وهو ما ميز القرن الرابع الهجري، فقد امتاز بالنقد المنهجي، وتميز بظهور الكتب النقدية المستقلة، مثل: الصناعتين لأبي هلال العسكري، والموازنة للأمدي، وعتار الشعر لابن طباطبا، ونقد الشعر لقدامة وغيرها

في المقامة الحمدانية يذكر مجلس سيف الدولة الحمداني، ويذكر أحداثاً كأنها حقيقية وقعت في بلاط سيف الدولة، يقول: (قد أكل الدهر عليها وشرب) (7)، وهو مثل يضرب إذا طال عمر الرجل، ومعناه: أي أنه أكل وشرب دهرًا طويلاً، والهمداني هنا يتناص مع قول النابغة الجعدي (8):

سألتنى عن أناسٍ هلكوا شرب الدهر عليهم وأكل

(1) مقامات الهمداني، ٨٣.

(2) الذبياني، النابغة زياد بن معاوية بن ضباب (ت ٦٠٤م)، ديوان النابغة الذبياني، ط 3، م 1، (تحقيق: عباس عبد الساتر)، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٦م، ٣٨.

(3) مقامات الهمداني، ٩٩.

(4) الميداني، مجمع الأمثال، ٢٩٥/١.

(5) ديوان امرئ القيس، ٤٣.

(6) مقامات الهمداني، ٢١٤.

(7) المصدر نفسه، ١٤٣، انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة: طرب، ٥٥٧/١.

(8) الجعدي، النابغة أبو ليلى قيس بن عبد الله (ت ٥٠هـ)، ديوان النابغة الجعدي، جمع وتحقيق: واضح الصمد، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م، ١١٨.

في المقامة الإبليسية أنشد الراوي شعراً لامرئ القيس وعبيد وطرفة فلم يعجب السامع، وراح ينشده قصيدة لجريز، وكأنه يحكم لجريز بالأفضلية، ونعت أبا نواس بـ (فويسق عيار)⁽¹⁾، والسامع للراوي كان إبليس، ويدعي أنه أبو مرة، وهو الذي أملى علي جريز قصيدته، وهنا يؤكد مرةً أخرى على شياطين الشعر.

في المقامة الناجمية يقول: (وحلبت أشطره)⁽²⁾، فهو يتناص مع كلام العرب: (حلبت الدهر أشطره، أو أطلب حلبا لك شطره)⁽³⁾، فجرى مجرى المثل، يريدون عرفت حلوه ومره، غثه وسمينه، خيره وشره، سعادته وشقاءه، أما الآخر فيضرب في الحث على الطلب والمساواة في المطلوب.

يقول: (ما وراءك يا عصام؟)⁽⁴⁾ وهو تناص مع المثل الذي يضرب عند الاستقसार عن أمر مرغوب في معرفته، جهله السائل، وعرفه المخاطب، وعصام هو حاجب النعمان بن المنذر، منع النابغة الذبياني من الدخول عليه وهو مريض فقال له النابغة⁽⁵⁾:
فإني لا ألام على دخولٍ ولكن ما وراءك يا عصام؟

في المقامة الوصية تناص مع الوصايا، وكأنه يريد إظهار براعته في كل الفنون نثرًا وشعرًا من بلاغة وفصاحة، فيوصي أبو الفتح ولده بعد أن جهّزه للتجارة، ويقول: (إن القرم أشأم من البسوس)⁽⁶⁾، وفيها يحذره من الكرم والقرم، ويشبه القرم وهو: شدة الشهوة إلى اللحم بالبسوس⁽⁷⁾، والبسوس هي خالة جساس الذي قتل كليئًا، وبسببها اشتعلت نار الحرب التي استمرت أربعين عامًا، تختلف المقامة الوصية عن باقي المقامات في أن الهمداني يبدأ بالبطل مثل المقامة الوعظية، وابتعد عن قضية الكدية.
المقامة الصيمرية يضمنها حكايةً لأبي العنيس محمد بن إسحاق بن إبراهيم الصيمري، وهو صاحب الكتب في الهزل (ت ٢٧٥ هـ) يقول: (كنت عندهم أعقل من عبد الله بن عباس، وأظرف من أبي نواس)⁽⁸⁾، وابن عباس هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو حبر الأمة، أوفاهم عقلاً وحشماً وعلماً وجمالاً وكمالاً، وترجمان القرآن، كان مفسراً للقرآن، وعالماً بالتأويل.

يقول: (وأسخى من حاتم... وأشجع من عمرو)⁽⁹⁾، حاتم الطائي الذي يضرب به المثل في الكرم، وعمرو: هو أبو ثور عمرو بن معد يكرب بن عبد الله الزبيدي، كان شاعرًا وخطيبًا مفوهًا، وهو أحد فرسان العرب وشجعانهم وأبطالهم، صاحب الوقائع في الجاهلية والإسلام، أسلم في السنة العاشرة من الهجرة، وله في معركتي القادسية واليرموك مواقف مشهودة.

(1) مقامات الهمداني، ١٨٨.

(2) المصدر نفسه، ١٩٤.

(3) الميداني، مجمع الأمثال، ١/ ١٩٥.

(4) مقامات الهمداني، ٢٠٠.

(5) الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، ١١٠.

(6) مقامات الهمداني، ٢١٦.

(7) لسان العرب، مادة: قرم.

(8) مقامات الهمداني، ٢٢٧.

(9) المصدر نفسه، ٢٢٨-٢٣٢.

يقول الهمداني: (وأبلغ من سبحان وائل... وأدهى من قصير، وأشعر من جرير)⁽¹⁾ سبحان بن زفر بن أباد الوائلي، الخطيب المصنّف، يضرب به المثل في البلاغة والبيان، أسلم وحسن إسلامه، التحق بمعاوية، وعنه قال: "أنت أخطب العرب، قال سبحان: والعجم والجن والإنس"⁽²⁾.

أما قصير فهو أحد أصحاب الرأي، من ثقاة جذيمه الأبرش، الذين جمعهم حين استدعته الملكة الزباء، وعرضت عليه ملكها وزواجها، لكنه أراد أن يستولي على ملكها، فوافقوه الرأي ما عدا قصيرا، وقال: (رأيت فاطر، وغدر حاضر)⁽³⁾، فذهب كلامه مثلاً، ومن الأمثال التي تضرب في قصير، ونجد الهمداني يتناص معه: "لأمر ما جدع قصير أنفه"⁽⁴⁾، يضرب هذا المثل في الحيلة والمكر، وفعل الشيء غير المعتاد لغرض في نفس يعقوب، فحينما يقدم الشخص الماكر على إحداث الأذى بنفسه، فلا بد أن يكون هناك شيئاً وراء فعلته تلك، وهذا ما فعله صاحب المثل، والذي يدعى قصير.

يقول الهمداني: "وأشد حزناً من الخنساء على صخر... ومن هند على عمرو... وحفظ الصبي، وعلم الكلبي"⁽⁵⁾، الخنساء هي: تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية، وهند هي: أم عمرو بن هند بن المنذر بن ماء السماء، قتله عمرو بن كلثوم، والضبي هو: أبو عبد الرحمن المفضل الضبي، أحد الرواة الثقات، من الكوفة، وله المفضليات، والكلبي: هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، كان عالماً بالأنساب وأخبار العرب وأيامها ومثالبها ووقائعها، فالقصة كلها مقتبسة، ضمنها الهمداني في مقامته الصيمرية.

يطرح في المقامة الشعرية أسئلة تدل على معرفة السائل بالشعر، ثم جعلهم يختارون خمس مسائل، يوضحها لهم، وذكر أبياتاً لأبي نواس والأعشى والبكري وابن الرومي⁽⁶⁾.

وفي المقامة السارية يذكر أبيات شعرٍ على لسان عيسى بن هشام بعد أن رأى أبا الفتح الاسكندري عند والي سارية، وفيه يذكر كرم خلف بن أحمد، وأنه سوف يميت هذا الفقر بكرمه، فقال⁽⁷⁾:

لأسطن عليه من خلف بن أحمد من يميته

وفي المقامة الغيلانية: وغيلان هو ذو الرمة، وقد قام الهمداني بتضمين شعره في المقامة، وكلها تناص مع قصة الفزاري وذي الرمة، وقد وردت في الموشح للمرزباني (ت ٣٨٤هـ)⁽⁸⁾، والعقد الفريد لابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ)⁽⁹⁾.

من تضمين الهمداني لشعر ذي الرمة⁽¹⁾:

(1) المصدر نفسه، ٢٣٤-٢٣٥.

(2) المصدر نفسه.

(3) الميداني، مجمع الأمثال، ١٠٢/١.

(4) المصدر نفسه، ١٩٦/٢.

(5) مقامات الهمداني، ٢٣٩-٢٤١-٢٤٥.

(6) المصدر نفسه، ٢٥٢.

(7) المصدر نفسه، ٢٧٥.

(8) المرزباني، محمد بن عمران بن موسى (ت ٣٨٤هـ)، الموشح، في مأخذ العلماء على الشعراء، ط١، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

(9) ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، العقد الفريد، م٩، ط١، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمي، بيروت، ١٩٨٣م.

أمن مية الطلل الدارس أظَّ به العاصف الرامس

المقامة الجرجانية تضمين (وفينا مقامات حسان وجوههم وأندية ينتابها القول والفعل)⁽²⁾ تناص مع قول زهير⁽³⁾:
وفيهم مقامات حسان وجوههم وأندية ينتابها القول والفعل

في المقامة الأهوازية يقول: (في رفقة متى ما ترق العين فيهم تسهل)⁽⁴⁾ يتناص مع قول امرئ القيس⁽⁵⁾:
ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه متى ما ترق العين فيهم تسهل

في المقامة البشرية، تناص وتضمنين لقصة بشر بن عوانة العبدي الصعلوك⁽⁶⁾، وفيها شعر عن صفات الأسد، وفيها إشارات وتقاطعات مع صفة الأسد لأبي زبيد الطائي في وصف الأسد، ومع المقامة الأسدية.

(1) مقامات الهمذاني، ٣٦-٣٧.

(2) المصدر نفسه، ٤٤.

(3) ديوان زهير، ٨٧.

(4) مقامات الهمذاني، ٤٦-٤٧.

(5) ديوان امرئ القيس، المعلقة: ٤٥.

(6) مقامات الهمذاني، ٣١٥.

الخاتمة

أسس الهمذاني في مقاماته لفنٍ ترك أثرًا كبيرًا في الأدب العربي، غير أن نص الهمذاني نص مفتوح لكثير من الأسئلة التي لا تتعلّق بتأويله فحسب، بل أيضًا بجمعه وتكوينه وتاريخه وتداوله.

شكل التناسل التراثي عند الهمذاني ظاهرة لافتة للعيان، وهذا يدل على كثرة قراءاته، وإطلاعه على آداب من سبقوه، وتأثره بهم وبآرائهم، فشغل التناسل مع التراث بتنوعاته المختلفة أغلب مقاماته، ولذلك أفردنا له في هذا البحث النصيب الأكبر من البحث والتقصي، بينما يأتي التناسل القرآني في المرتبة الثانية، فقد امتازت مقاماته بالتناسل مع القرآن في أشكالٍ ومستويات مختلفة، منها ما هو التناسل المباشر عن طريق الاقتباس أو الاستشهاد، أو التناسل الإحالي عن طريق التغيير في الضمائر، أو عن طريق الإيحاء الذي يستوجب قارئاً عليمًا، يستطيع تتبع هذه الإشارات الخفية، حتى يصل إلى النص الغائب المتناسل معه.

أما التناسل الداخلي فكان واضحًا في أغلب مقامات الهمذاني، لكنه تطلب وقتًا وجهدًا في البحث، وفي التمحيص والتدقيق، وإعادة النظر في المقامات مرةً بعد أخرى؛ لبيان أوجه التعالق بين نصوص الهمذاني نفسها، الذي ظهر في بعض المقامات جليًا، وبعضها كان خفيًا.

ظهر التناسل في مواطن كثيرة من مقامات الهمذاني، سواء أكان تناسلًا داخليًا، وهو ما يسمى بالتكرار، أو التناسل الخارجي مع القرآن والتراث على امتداد المقامات، وهذا التناسل دليلٌ على سعة اطلاع الهمذاني، وثقافته القرآنية، وغرفته من التراث، وهذا التناسل لا يقدح في جمالية المقامات، وارتفاع مستواها لفظًا ومعنى، فقد ساهم التناسل في خلق نص جديد من تعالقه مع النصوص الأخرى، فخرجت الألفاظ والصور معبرةً عن الفكرة التي أراد الهمذاني إيصالها.

لقد صبغ الهمذاني مقاماته بصبغة العراقة والفحولة، كما درج تسمية النقاد للمجيد من الشعراء بفحول الشعراء، ورغم ميله إلى القديم، لكنه لم يكن يتعصب لهم، فقد أورد أبياتًا للمحدثين منهم، مثل: أبي نواس وغيره، فالهمذاني عمد إلى محاوره النصوص السابقة سواء أكانت نصوصاً قرآنية، أو شعرية، أو نقدية، ضمّن بها مقاماته، فاجتمعت هذه النصوص الغائبة، والتي كان صداها حاضرًا، فخرجت مقامات الهمذاني في نصٍ جديد منسجم مع بعضه بعضًا، كالبيان المرصوص الذي يشد بعضه بعضًا.

المصادر والمراجع

المصادر:

- ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد (ت ٦٣٧هـ)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج ٢، المكتبة العصرية، صيدا: بيروت، ١٩٩٥م.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ)، **كتاب الأغاني**، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، م ٢٥، ط ٣، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٨م.
- امرؤ القيس، خُندج بن حجر (ت ٥٦٥م)، **ديوان امرؤ القيس**، ط ٤، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م.
- الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار (ت ٣٢٨هـ)، **الزاهر في معاني كلمات الناس**، م ٢، ط ٢، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (ت ٤٢٩هـ)، **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، ط ١، ج ٥، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، **البيان والتبيين**، تحقيق: عبد السلام هارون، م ٤، ط ٧، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م.
- _____، **المحاسن والأضداد**، تحقيق: علي فاعور وآخرون، دار الهادي للنشر، بيروت، ١٩٩١م.
- _____، **البخلاء**، ط ٥، تحقيق: طه الحاجري، دار المعارف، مصر، (د.ت).
- الجرجاني، عبد القاهر (ت ٤٧١هـ)، **أسرار البلاغة**، قرأه وعلق عليه محمود شاكر، الناشر دار المدني، جدة.
- الجعدي، النابغة أبو ليلي قيس بن عبد الله (ت ٥٠هـ)، **ديوان النابغة الجعدي**، جمع وتحقيق: واضح الصمد، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.
- الجمحي، محمد بن سلام (ت ٢٣٢هـ) **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٤م.
- الحطيئة، أبو مليكة جروول بن أوس العبسي (ت ٤٥هـ)، **ديوان الحطيئة**، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م.

- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني الذهلي (ت ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد، ط١، م٢٠، تحقيق: أحمد شاكر، حمزة الزين، دار الحديث للنشر، ١٩٩٥م.
- الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن سنان الحلبي (ت ٤٦٦هـ)، سر الفصاحة، ط١، دار الكتب العلمي، بيروت، ١٩٨٢م.
- ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ)، مقدمة ابن خلدون، م٢، ط١، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب للنشر، دمشق، ٢٠٠٤م.
- الذبياني، النابغة زياد بن معاوية بن ضباب (ت ٦٠٤م)، ديوان النابغة الذبياني، ط٣، م١، (تحقيق: عباس عبد الساتر)، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٦م.
- ابن رشيقي، أبو علي الحسن القيرواني (ت ٤٦٣هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ط٢، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١م.
- الزبيدي، محمد بن عبد الرزاق المرتضى (ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، م٤٠، ط٢، مادة: نصص، تحقيق: عبد الكريم غرباوي، مطبعة الحكومة، الكويت، ١٩٧٩م.
- ابن أبي سلمى، زهير (ت ٦٠٩م)، ديوان زهير بن أبي سلمى، ط١، (شرح وتقديم: علي حسن فاعور)، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٩٨٨م.
- ابن العبد، طرفة (ت ٥٦١م)، ديوان طرفة بن العبد، شرح: مهدي ناصر الدين، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.
- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، العقد الفريد، م٩، ط١، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمي، بيروت، ١٩٨٣م.
- العسقلاني، علي بن أحمد بن حجر (ت ٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، م١٣، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- العسكري، أبو هلال (ت ٣٩٥هـ)، كتاب الصناعتين، تحقيق: مفيد قميحة، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م.
- _____، ديوان المعاني، تحقيق: أحمد سليم غانم، ط١، م٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م.
- عنتر، ابن شداد العبسي (ت ٦٠٨م)، شرح ديوان عنتر، تحقيق: أمين سعيد، دار الكتب المصرية.
- الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة (ت ١١٤هـ)، ديوان الفرزدق، ط١، تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (٢٧٦هـ)، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، م٢، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦م.
- القزويني، الخطيب جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر (ت ٧٣٩هـ)، تلخيص المفتاح في المعاني والبيان، ط١، مكتبة البشري، كراتشي، ٢٠١٠م.
- المرزباني، محمد بن عمران بن موسى (ت ٣٨٤هـ)، الموشح، في مأخذ العلماء على الشعراء، ط١، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.
- المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ)، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، م٨، ط١، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.
- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ط٣، م١٥، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣م.
- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (ت ٥١٨هـ)، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج٢، دار المعرفة، بيروت.
- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن سنان الخراساني (ت ٣٠٣هـ)، سنن النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، دار إحياء التراث العربي، القاهرة.
- الهمداني، أبو الفضل أحمد بن الحسن بديع الزمان (ت ٣٩٨هـ)، مقامات بديع الزمان الهمداني، ط٣، تحقيق: محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.
- _____، مقامات بديع الزمان الهمداني، شرح وتحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الأسرة، هيئة الكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م.

المراجع:

- إبراهيم، عبد الله (٢٠٠٨م)، موسوعة السرد العربي، ط١، ج٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان.
- _____ (٢٠١٣م)، السردية العربية، ط١، ج٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان.
- بنيس، محمد (١٩٧٩م)، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، ط١، دار العودة، بيروت.

- الزعبي، أحمد (٢٠٠٠م)، **التناص نظرياً وتطبيقياً**، ط٢، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان: الأردن.
- عبود، مارون (٢٠١٣م)، **بديع الزمان الهمذاني**، كلمات للترجمة والنشر، القاهرة.
- عزام، محمد (١٩٩٦م)، **النقد والدلالة نحو تحليل سمياني للأدب**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا.
- القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، **حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة**، ط٥، وزارة الشؤون الإسلامية للأوقاف والإرشاد، المملكة العربية السعودية، (د.ت).
- كريستيفا، جوليا (١٩٩٧م)، **علم النص**، ط٢، ترجمة: فريد الزاهي، دار توفال للنشر، الدار البيضاء، المغرب.
- الكعبي، ضياء (٢٠٠٥م)، **السرد العربي القديم**، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان.

الأبحاث والدراسات:

- الإدريسي، مولاي يوسف (٢٠١٥م)، **التناص النقدي في مقامات بديع الزمان الهمذاني**، مجلة جذور، ع: ٣٩، يناير-النادي الأدبي الثقافي بجدة- المملكة العربية السعودية.
- بو جملين، الزهرة (٢٠١٦-٢٠١٧م)، **التناص الديني في مقامات بديع الزمان الهمذاني**، رسالة ماجستير في الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر -بسكرة- الجمهورية الجزائرية.
- المقداد، محمود (٢٠١٣م)، **مستويات التناص بين المقامة الأسدية لبديع الزمان الهمذاني وصفة الأسد لأبي زيد الطائي**، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٩، العدد: ٢+١.